١٠/٧/١٩٣٢

العدد الرابع — السنة الثانية عشرة

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها السنوي ٢٥٠ ملاً في السنة

مطبعة مرآة الشرق - القدس

ESTABLISHED 1922

ع م
٢١٩٢٢ ح

الكلية العربية

العدد الرابع في ١٠ تموز سنة ١٩٣٢ الموافق ٧ ربيع الاول الهجري سنة ١٥٣

الكتب والمطبوعات

المدرسة الابتدائية

بين يدينا الآن تقرير اصدرته لجنة اقامها مجلس التدريس البريطاني موضوعه « المدرسة الابتدائيـة » وقد جاء التقرير في ٢٩٠ صفحة وثمنه شلنان ونصف وهو مطبوع بالمطبعة الملكية بلندن . وقد ابتدأت اللجنة عملها سنة ١٩٢٨ واستمرت الى سنة ١٩٣٠ وقابلت عدداً كبيراً من مديري المدارس والاختصاصيين وكانت صلاحيتهـا مقتصرة على ما يأتي :

« ان تتولى اللجنة البحث وتقدّم تقريراً عن سياق الدروس المناسبة للاطفال حتى سنّ الحادية عشرة (ماعدا بساتين الاطفال) ، وان تنظر بعين الاعتبار الى حاجات الاطفال في المناطق القروية » . وقد توصلت اللجنة الى مقترحات هامة سنحاول ان نلخص اهمها فجاء التقرير فريداً في بابه جامعاً لآراء صائبة ، حرياً بالمطالعة والتدقيق من قبل المعلمين

ورجال التعليم في هذه الديار .

ويقع التقرير في احدَ عشر فصلاً ، فالفصل الاول يبحث في تاريخ نشوء التعليم الابتدائي فوق سن الطفولة من اوائل القرن التاسع عشر الى العصر الحاضر . والفصل الثاني يبحث في نمو الاطفال الجسدي بين سنّ السابعة والحادية عشرة ، والثالث في النمو العقلي بين السابعة والحادية عشرة والرابع في تحديد سنّ الدورة العليا من التعليم الابتدائي والخامس في ادارة وتنظيم المدارس الداخلية ، والسادس في الطلاب المتأخرين في المدرسة الابتدائية ، واسباب هذا التأخر ومظاهره والسابع في منهج المدرسة الابتدائية والثامن في تجهيز المدارس الابتدائية بالمعلمين وتدريبهم ، والتاسع في ابنية المدارس الابتدائية وتجهيزاتها وادواتها ، والعاشر في الفحوص في المدارس الابتدائية والحادي عشر في تواصي هذه اللجنة وقراراتها . ثم يتلو ذلك ملاحظات قيمة عن تدريس المباحث المختلفة في المدرسة الابتدائية .

خلاصة تواصي وقرارات اللجنة

ان نشوء التعليم في انكلترا في القرن الماضي مشى معه فكرة تنظيم التعليم الابتدائي بين الخامسة والحادية عشرة . ومشى مع ذلك حاجة تنظيم هذا التعليم تنظيماً مستقلاً ، وقد اعتبروا ان السنة الحادية عشرة هي نهاية التعليم الابتدائي وما فوق ذلك فهو تعليم ثانوي ، وان لكل من

هذين التعليمين مشاكل ومسائل خاصة . وان الطلاب بعد هذه السن يجب ان يؤهلوا النوع من انواع التعليم الثانوي وان يكون الانتقال في هاتين الدورتين بين السنة الحادية عشرة والثانية عشرة .

ومن رأي اللجنة ان التعليم الابتدائي ينقسم الى دورتين منفصلتين الواحدة تمتد الى سن السابعة وتزيدو الثانية الى سن الحادية عشرة وتزيد . ويفضل اذا امكن ان تكون هناك مدارس خاصة بالاطفال دون السن السابعة . وقد يجمع بينهما في مدارس القرى ، على انه يجب وضع الاطفال دون السابعة تحت نظارة سيدة ذات مسئولية خاصة وتدريب خاص مناسب لهذه السن .

وحيث تكون مدارس خاصة بالاطفال دون السابعة ، واخرى بمن هم فوقها فمن الضروري ان يكون هناك اتصال قريب بين المدرستين ، وان تعقد اجتماعات متوالية يشترك فيها معلمو المدارس الثانوية على اختلاف انواعها اتصالا قريبا بالمدارس الابتدائية التي ترسل منها الطلاب وذلك بعقد مؤتمرات واجتماعات متوالية بين الطرفين .

ومهم ايضا ان يكون الانتقال في معالجة الطلاب واساليب التدريس المستعملة في مدارس الاطفال الى الدور الابتدائي ، انتقالاً سهلا ومتدرجاً ، وان يكون معلمو الصفوف الدنيا في المدارس الابتدائية على معرفة باساليب مدارس الاطفال ، وبناء على هذا ، فليس ما يمنع ترفيع الطلاب من مدرسة الاطفال بين السنة السابعة والثامنة .

ان انتهاء الدورة الابتدائية في سن الحادية عشرة يمكننا من تقسيم الطلاب في هذه المدارس تقسيما اصح ، ولهذا فيجب ان تعمل ترتيبات خاصة بالطلاب الاذكياء والمتأخرين ، وذلك ان يعاد النظر في ترتيبهم الى صفوف فيرفع الاذكياء منهم قبل غيرهم . اما المتأخرون فيعالجون ويكتشف ضعفهم الى ان يصلوا الى المستوى المطلوب . ومن اجل هذا يقسم كل صف الى شعبتين احداهما للمتقدمين والاخرى للمتأخرين ، على انه يجب الحذر من حصر كل الانتباه في الاذكياء الذين يؤمل ان يفوزوا بمراكز في المدارس الثانوية دون غيرهم ، فيعرض عن المتوسطين ذكاء والمتأخرين الذين يحتاجون ايضا الى عناية ومعالجة خاصة .

ان الفروق بين المدارس القروية والمدنية مبالغ فيها كثيراً ، مع ان المدارس الابتدائية في المناطق الزراعية لها مشاكل خاصة بها . ومن الواضح ان منهج التدريس الخاص بالطلاب بين السابعة والحادية عشرة يتوقف الى درجة عظيمة على نوع التعليم ومداه الذي حصل عليه الطلاب في صفوف الاطفال في المدارس الابتدائية . ففي المدارس القروية الصغيرة يصعب على معلم واحد ان يوجه اهتماما كافيا للاطفال ، وفي ذات الوقت يدرس تدريسا نظاميا فرق الطلاب المختلفة بين السابعة والحادية عشرة . ولهذا فمن المستحسن ان كان هناك عدد كاف ، من الطلاب ، ان يعهد الى سيدة مسئولة عن الاهتمام بالاطفال . ولم نجد اعتراضا وجيها لاسباب اجتماعية او تربيوية على جعل المدارس الابتدائية (مختلطة) بين الذكور

والاناث بشرط ان يهتم اهتماما خاصا بمطالب النوعين المختلفة من بنين وبنات في الالعاب والتمارين الجسدية

مايتعلق بنمو الطلاب الجسدي بين السابعة والحادية عشرة

ان الدور بين سني السابعة والحادية عشرة ، يؤلف دوراً ذا أهمية حيوية في نمو الجسم الانساني . ومن واجب المدرسة الابتدائية ان تجهز المعالجة التربيوية المناسبة . وقد ننظر الى هذا الدور بانه يجهز لنا افضل وسيلة لاصلاح الخطأ في نمو الاطفال الصغار ، وفي اعدادهم الى المطالب الشاقة التي يستدعيها النمو السريع اثناء دور البلوغ . ان درس نمو اجسام الاطفال في هذا الدور يقدم دلائل واضحة عن الجهد الجسدي الذي يتعرض اليه الجسم فيما بعد . وهذه الدلائل لها شأن مهم في الاشارة الى صلاحية بعض الالعاب والتمارين الجسدية دون غيرها للبنين والبنات . ومن المهم لتقدم البنين والبنات الجسدي والتربيوي ايضا ، ان تدوّن المظاهر البارزة في نموهم الجسدي ، وان يحفظ ذلك في سجل المدرسة الخاص . على ان من المهم ان تبقى مثل هذه المعلومات مكتومة سرية .

وعلى المعلمين في المدارس الابتدائية ان يكونوا على حذر دائم لاكتشاف مايصيب الطلاب من العاهات الطفيفة في سمعهم او بصرهم ، وان ينتبهوا الى بعض خصائص عصبية في الطلاب قد تسهى عن الاطباء فان امثال هذه العيوب قد تكون السبب فيما يسمى بالتأخر في الاطفال

الصغار ٠

ثم ان الامراض السارية الحادة هي اجمالاً اقل حدوثًا للاطفال بين السابعة والحادية عشرة منه للاطفال الذين دونهم ، ولكن بعض نتائج واعراض هذه الامراض المزمنة قد يتبينها المعلم في هذا الدور ٠ لهذا فمن الضروري ان لايشغل الطلاب كثيراً في العمل المدرسي اذا كانوا في دور النقاهة

ان الرأي السائد بان الدور بين سن السابعة والحادية عشرة هو « دور حيادي » هو اعتقاد خاطئ ، لان الابحاث الفيزيولوجية الاخيرة دلت على ان الاختلافات الجنسية بين البنين والبنات يجب عدم اهمالها في دور الطفولة هذا المسمى خطأً بالدور الحيادي ٠ ومن اهم هذه الفروق ان البنات اكثر تعرضاً بالنسبة الى البنين الى عامل التعب ٠ ولهذا فمن الضروري في هذا الدور ان ترتب العاب خاصة بالبنات دون البنين ٠ كذلك ان تجهز المدارس بوسائل الراحة خاصة بالبنات ٠

ومع ان آراء علماء النفس والمعلمين تشير إلى ان الاختلاف بين الجنسين في الناحية العقلية في هذا الدور هو اختلاف طفيف ، الا انه ليس كذلك في الناحية العاطفية فان رغبات وميول البنين تتسع وتختلف عن البنات شيئاً فشيئاً ٠

ما يتعلق بالنمو العقلي في هذا الدور

ان الطلاب كلما تقدمت سنهم يزداد اختلافهم في المقدرة العقلية ٠

ولهذا فمع ان الطلاب في دور الطفولة قد يقسمون دون النظر الى اختلاف درجاتهم في المقدرة العقلية ، الا انهم متى وصلوا الى السن العاشرة تجب قسمتهم الى شعب مختلفة ، مع انه لا تكون الحاجة الى هذا التقسيم بقدر ماهي اذا تجاوز الطلاب سن الحادية عشرة . ومع ان الادلة تثبت أن ليس هناك فوارق حادة في نمو الاطفال الصغار العاطفي والعقلي الا أن الدور بين السابعة والحادية عشرة تظهر فيه خصائص تدعو الى اعتبار هذا الدور في التعليم كدور خاص مستقل .

ان مجال الانتباه في الاطفال الصغار هو محدود جداً ، اذ تنقصهم قوة التنظيم العقلي . على ان مقدرة الطفل على حصر انتباهه اختيارياً تزداد بسرعة بين السابعة والحادية عشرة . فان رغبة الطفل لا مقدرته العقلية بالضرورة ، تزول بسرعة في هذا الدور ، ولكن الانتباه يمكن المحافظة عليه ، اذا كانت مادة الدرس التي تقدم للطلاب تقتصر على بعض افكار سهلة بسيطة ، واذا ترك للطفل حرية الحركة ، وكان هناك تنوع كاف مدة حصة الدرس .

ان الرأي السائد ، بان الذاكرة هي قوية بصفة خاصة عند الاطفال الصغار ، ولهذا فالدورة الابتدائية هي الوقت المناسب لحشو اذهان الطلاب بالمعلومات هو امر يحتاج الى اثبات وتحقيق . على ان الاعتماد في هذا الدور يجب ان لا يقتصر على التذكر الميكانيكي بل يجب ان يتشدد

في الذاكرة التي تتطلب تفكيراً وفهماً .

ان المباحث المدرسية حتى السنة الحادية عشرة يجب ان تعرض للطلاب بحيث تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعرفة الطلاب المحسوسة ، وباختبارهم الشخصي المباشر ، وفي هذا الدور يجب ان يبنى التدريس مباشرة على مايستطيع الطالب ادراكه او استعادته عند اختباره اياه ، وذلك بالاكثر عن طريق البصر ، لا على القوانين العامة المعنوية او المبادي النظرية . ولهذا فمن المهم ، عند الانتقال من مدرسة الاطفال الى الدورة العليا في المدرسة الابتدائية ان يعلموا تدريجياً كيف يربطون التخيل البنائي بما يختبرونه ، ذلك التخيل الذي كان اساسه عندهم « التبرير النفسي »

ويظهر ان قوة التفكير عند الطلاب بين السابعة والحادية عشرة هي نامية اكثر مما يظن عادة . اما قابلية الاطفال الى الاستهواء فناتجة ليس عن فقدان قوة التفكير عندهم بقدر ماهي ناتجة عن فقدان المعرفة المنظمة . ومن المظاهر الاخرى في الاطفال في هذا الدور مايظهرونه من الاستغراب ، ومن فهمهم الحقائق العملية ، وتنمو فيما بعد التاسعة فيهم محبة العمل البنائي والرغبة في خلق الشيء الجديد .

ان المقدرة على الارتياح الحقيقي لما هو جميل ، هي قليلة النمو في اكثر الطلاب في هذا الدور ، ولكنها تأخذ في النمو كلما اقتربوا من سن الحادية عشرة ، فان جهود الطلاب ذاتهم بما ينتجونه في مختلف الوسائل يجب ان

تكون اقوى عامل في نشوء حس تقدير الجمال عندهم ، وهذه اوقع في نفس الطالب من المحاضرات عن الجمال ، او محاولة المعلم ان يثير ارتياح الطلاب قبل اوانه لامور هي انسب للدور المتقدم . ان تأثير رؤية الشي الجميل او سماعه يجب ان لايهمل شأنه .

منهج التدريس في الدور الابتدائي

انه وان كان من الضروري عند صوغ منهج التدريس للطلاب بين السابعة والحادية عشرة ، ان يبنى هذا المنهج على الاسس التي وضعت في مدرسة الاطفال ، وان يضع واضع المنهج نصب عينيه اهمية ارتباط هذا المنهج بمنهج الدراسة الثانوية الا ان اهم مايجب ان توجه اليه العناية هو ان يجهز الطلاب بما هو اساسي للنمو الجسدي والعقلي والخلقي نمواً صحيحاً ، في اثناء هذا الدور من النمو . ونحن نميل للاعتقاد بان منهج التدريس الابتدائي يجب ان ينظر اليه ويصاغ باعتبار الفعالية والاختبار لا المعرفة التي سيكتسبها الطالب او الحقائق التي يدخرها . ومن المظاهر البارزة في المنهج التي يجب ان تعار جانباً عظيماً من الاهمية ، التربية البدنية وهذه يجب ان تشمل التمارين التي تساعد على حفظ صحة الجسد ، وكفاءته وغيرها مما يساعد على تناسق الحركات واتزانها .

ومن الضروري ان ينظر الى التدريب اللغوي كعنصر اساسي في المنهج ، وان يبنى هذا التدريب على خطة معينة نظامية في التعبير عن الفكر تعبيراً شفوياً ، وليس من الضروري القضاء على جميع خصائص

اللهجات المحلية وانما يجب ان يتكلم الطلاب اللغة الفصحى بلفظ صحيح، وتركيب نحوي وصرفي لا خطأ فيه.

ان تربية شعور الطلاب البديعي عن طريق الرسم والعمل اليدوي والموسيقى، وكذلك تنشئة المهارة اليدوية يجب ان يهتم بها غاية الاهتمام. وكذلك تدريب الطلاب على كتابة الخط الجميل المقروء امر مهم ايضا.

ان تقسيم المباحث الى دروس مستقلة، تعلم في دروس خاصة يجب اعادة النظر فيها. وقد يستبدل هذا الترتيب باختيار بعض دروس اساسية لها علاقة بجميع المباحث، وعلى كل فمن الضروري ان يعطى الوقت الكافي لتدريب الطلاب في القراءة، والخط والحساب.

الطلاب المتأخرون

قد يقسم الطلاب باعتبار مقدرتهم العقلية الى ما يأتي :

(ا) المتفوقون جداً، فوق المتوسطين.

(ب) المتوسطون في المقدرة، الاعتياديون.

(ج) الذين مقدرتهم دون المتوسطين، اي غير الاعتياديين وهذه الطبقة الاخيرة من الطلاب غير الاعتياديين يمكن قسمتها الى قسمين.

(١) الناقصون عقلا.

(٢) المتأخرون في النمو العقلي.

ومن المتأخرين هؤلاء من هو كثير التأخر او أقل من ذلك.

وقد جاء في تقرير رفعته لجنة بحثت في الطلاب المتأخرين عقـلا

ما يأتي بعد ان قسمت الطلاب غير الاعتياديين الى ثلاثة اقسام :

(١) الطلاب الذين سنهم العقلية دون نصف سنهم الفيزيولوجية، اي الطلاب الذين سنهم الفيزيولوجية عشرة والذين سنهم العقلية دون الخمسة. فهؤلاء نقترح تسميتهم بالاطفال « المتأخرين عقلا ».

(٢) (ا) الطلاب الذين سنهم العقلية فوق النصف ودون سبعة اعشار سنهم الفيزيولوجية ، اي الطلاب الذين سنهم الفيزيولوجية عشرة ، والذين سنهم العقلية بين الخامسة والسابعة. هؤلاء نقترح تسميتهم بالاطفال « المتأخرين كثيراً ».

(ب) الطلاب الذين سنهم العقلية تقع بين سبعة وثمانية اعشار سنهم الفيزيولوجية ، اي الطلاب الذين سنهم الفيزيولوجية عشرة ، وسنهم العقلية بين السابعة والثامنة ، هؤلاء نقترح تسميتهم بالاطفال « المتأخرين قليلا ».

تجهيز المعلمين وتدريبهم

يجب ان تنظم المدارس الابتدائية بحيث لا يزيد عدد الصفوف عن الاربعين طالبا . وفي صفوف الطلاب بين السابعة والحادية عشرة يجب ان يقوم بالعمل معلمون لهم خبرة في معالجة الاطفال ، ولهم المام باساليب مدارس الاطفال الحديثة . ومن المستحسن ان يقوم بالتدريس في هذا الدور معلمات ، اما الدورات العالية فيجب ان يكون هناك عدد كاف من المعلمين في مدارس البنين والمدارس المختلطة . وتفتح رأسه

المدارس «المختلطة» للرجال والنساء على السواء ، فاذا كان المدير رجلا وجب ان يكون المساعد امرأة والعكس بالعكس . وفي المدارس الكبيرة من هذا النوع يجب ان تكون وظيفة المساعد الاول ذات مسؤولية خاصة . ونرى ان يكون جميع مديري المدارس الابتدائية من ذوي الشهادات المعتبرة .

ومن رأينا ان تعمل تسهيلات خاصة في الفرص وفي اواخر الاسابيع للمعلمين المدربين الذين يريدون ان يحسنوا تدريبهم . ولما كان هناك عدد من المعلمين الذين لا يملكون شهادات وجب ان تتخذ تدابير فعالة لتأمين صلاحهم للعمل الذي انتدبوا من أجله ولهذا نرحّب بادخال قسم من هؤلاء الى دور المعلمين ليتدربوا على الاصول الحديثة .

الابنية والاثاث والملاعب

نعتقد ان من الاهمية بمكان عظيم ان يهتم بتأثيث المدارس الابتدائية بقدر مايهتم بالمدارس الثانوية ، ومن الضروري ان تختار مواقع ابنية المدارس في اماكن هادئة قليلة الحركة وان تكون معرضة لاشعة الشمس . ويجب ان تحتوي هذه الابنية على غرفة او غرفتين واسعتين للتطبيقات العملية ، فيها الماء الجاري وانابيب الغاز ، وان يكون هناك غرفة خاصة للتفتيش الطبي وان يكون هناك وسائل لسهولة تناول الطلاب طعامهم ، وإذا امكن ان يكون في كل مدرسة قاعة واسعة للاجتماع . وان تكون تصميمات الابنية الجديدة مرتبة على الاصول الحديثة

في تخلل الهواء فيها .

ويجب ان تتخذ التدابير لتجهيز بيوت الماء بالماء الساخن ما امكن وان تكون مياه الشرب كافية ، وان تكون هناك وسائل لتدفئة الثياب والاحذية المبللة ويجب ان تؤثث غرف التدريس بحيث يسهل استعمالها لانواع مختلفة متنوعة من الاعمال .

ويجب ان تجهز المدارس الابتدائية بمكتبات غنية وان يشمل تنوع المواضيع فيها اصغر المدارس واكبرها . وان يكون فيها عدد من الكتب القصصية التي تلذ للاطفال قراءتها . ونكرر هنا ما اوصينا به في تقارير سابقة وهو ان يترك لمدير المدرسة امر بقاء جميع مجموعة الكتب في مكان واحد ، ام قسمتها الى الصفوف والجماعات في المدرسة ونفترض انه يجب ان يكون هناك مكان مناسب لمكتبات المدارس والصفوف . ثم ان المكتبات الخاصة بالاولاد الكبار في المدارس الابتدائية يجب ان تشمل بالاكثر الكتب البسيطة السهلة التي يقصد منها قراءتها لا جعلها مراجع وهذا بالطبع له علاقة بتجليد هذه الكتب ، وبتأثيث المكتبات وحفظ الكتب .

وبعض الالعاب المنظمة والالعاب الحرة تناسب الاولاد بين السابعة والحادية عشرة ، فيجب ان تجهز المدارس بملاعب دائمة الخضرة ما امكن ، وان تكون هذه قرب المدرسة بقدر ما تسمح به الظروف .

الفحوص وسجل المدرسة ، والتقارير

عندما يقسم الطلاب القادمون من مدرسة الاطفال ، قد يحسن بالمعلمين ان يطبقوا عليهم اختبارات الذكاء • ويجب الاستعانة بسجل المدرسة ، وبآراء المعلمين السابقين • ومن المناسب ان ينظر الى تقسيم الصغار كتدبير موقت وان يعاد النظر في التقسيم بصورة دائمة • ويظهر انه من الضروري ان يرتب نوع من الفحص والاختبار لتقسيم الطلاب في نهاية الدورة الابتدائيـة •

ومن المتبع الآن ان يفحص الطلاب على درجتين :

(١) الفحص الابتدائي في اللغة والحساب وهو الفحص الذي يعقد في المدرسة والقصد منه ان يفصل الطلاب الذين لايصلحون لان يتقدموا الى الفحص الثاني •

(٢) الفحص الثاني وهو الفحص الذي يتقدم اليه الطلاب في مكان مركزي ، والقصد منه اختيار الطلاب الناجحين وادخالهم الى المدرسة الثانوية .

واللجنة ترى انه اذا كان لامندوحة من مثل هذا التقسيم ، فالواجب ان لا يفصل بعد الفحص الاول كثيرون وان يسمح لاكبر عدد ممكن التقدم الى الفحص الثاني الذي ينتخب منه • وانه اذا اراد اي ولي طالب ان يتقدم ولده الى الفحص الثاني فليفعل مهما كان عمل ولده في الفحص الاول • لهذا يستحسن أن يكون الفحص الاول عاماً واجبارياً إذا كان

للفحص دورتان ·

واذا كانت اسئلة اللغة والحساب مرتبة ترتيباً جيداً وجب أن يكفي هذان العلمان كاختبار اساسي لمقدرة الطالب وتحصيله في سن الحادية عشرة · ونحن نرى ان الغاية الاولى من الفحص النهائي الذي يختار منه الطلاب هي تقدير مقدرتهم ، على ان درجة اكتسابهم يجب ان لايهمل شأنها ·

وقد تفيد الاستعانة عند الانتخاب ببعض اختبارات الجماعات اذا كانت هذه الاختبارات مرتبة ترتيباً مناسباً ، ومن رأينا ان لايعتمد على هذه وحدها · ونرى ان الفحوص التي يقصد فيها بالاكثر اكتشاف المقدرة يجب ان يهتم فيها بنتائج الاختبار الشفوي للطالب بشرط ان يكون هذا الاختبار مرتباً منظماً · ويجب ان يحفظ في كل مدرسة سجل مستمر لتقدم كل طالب في المدارس الابتدائية · ولكي يرغب الاباء في تقدم ابنائهم يجب ان يرسل اليهم عند نهاية كل فصل في آخر السنة تقرير مبني على سجل المدرسة · ومن الضروري ان يرغب الآباء في تقدم ابنائهم عندما يقدمون الى الفحص العام في سن الحادية عشرة · ولهذا فيستحسن أن تذيع السلطات التعليمية للآباء بعض المعلومات المختصرة البسيطة عن وسائل التعليم الثانوي الموجودة في تلك المنطقة ·

ان الغرض من المدرسة الابتدائية ، يجب ان لايشوهه اي نوع من الفحص او الاختبار سواء اكان الفحص خارجيا أم داخلياً ، ولهذا

وجب ان تنظم الفحوص بحيث تتلائم وتمشي مع نمو المدارس المستمر الهادئ وما يتبع ذلك من توسيع سياق الدراسة ، وانما المقصد من الفحص وضع مقياس عام للمقدرة والتحصيل ، يقيس المعلم نتيجة عمل الطالب بموجبه ولهذا يجب ان ترمي الفحوص الحقيقية الى زيادة الاهتمام بسجل المدرسة وتقرير المعلم نفسه عن تقسيم طلابه ، على ان يرتبط هذا التقدير بمقياس عام في المقدرة والتحصيل ، اذ ان مثل هذا التقدم يجب ان يضمن عدم تشويه منهج الدراسة ، والاستغناء عن الاستعداد الخاص للفحوص وعدم الاجهاد في الصفوف العليا في المدرسة الابتدائية ، وهكذا يزول اهم ما يعترض به على الفحص الان .

ومهما يكن من الامر فليست الفحوص مقياساً لكفاءة المدرسة ، فالفحص وحده مهما كان نوعه لا يمكن ان يشمل جميع نواحي الحياة المدرسية ، ولا يمكن تقدير قيمة هذه الا بتفتيش المدرسة ، وكل اختبار يمشي مع التفتيش يجب ان يكون من نوع غير الاختبارات التي بحثنا عنها . ولهذا فنحن نعلن عدم رضائنا عن تقدير كفاءة المدارس باعتبار جداول الطلاب الناجحين في هذه الفحوص العامة .

مدينة الكاب

درس في الجغرافيا

كان ظهور مدينة الكاب لاول مرة على مسرح التاريخ الاوربي

قبل ٣٠٠ سنة اذ كانت تقع في منتصف الطريق التي تصل بين اوربا والشرق ، والتي كانت تستغرق ستة اشهر كاملة ، وقد كانت حتى فتح قناة السويس محطة القاصدين والرواد في البحور الجنوبية و كان جبل (تيبل) وراءها أهم مرحلة في اعظم طريق بحرية في العالم .

ولقد استفادت شركة الهند الشرقية الهولندية من مركز هذه المدينة الممتاز فجلبت اليها المستعمرين في القرن السابع عشر و كان القصد من ذلك ان يتولى هؤلاء زراعة الخضر وغير ذلك من المؤن لتموين المراكب الشراعية التي كانت تجتاز ذلك الطريق الخطر الطويل الى جزر الهند الشرقية ، ثم اصبحت بعد ذلك محطاً للمراكب التابعة لجميع الامم . وظلت المدينة طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر تنمو في الثراء والتقدم لازدياد حركة التجارة في البهارات والمجوهرات والحرائر والاحجار الكريمة التي كانت ترد من جزائر الهند بازدياد متواصل الى اوربا ولم يمر وقت طويل حتى تزايد بضع المئات الهولنديين وغيرهم من منفيي فرنسا البروتستانت الذين سكنوا وانتشروا في ما وراء المدينة في الداخل وتمكنوا بمساعدة العبيد الذين جلبوهم من الملايا والهند والموزمبيق من انتاج الحنطة والخمور ولحم الضأن والفواكه بكميات متزايدة و كانت هذه المنتجات تجلب من الداخلية الى الميناء فتتنافس المراكب في شرائها لان البحارة كانوا يصابون بداء (الاسكربوط) من جراء أكلهم اللحوم المقددة ومن فقدان الفواكه والخضر الطازجة . ولقد تمكنت انكلترا في

اواخر القرن الثامن عشر اثناء نزاعها المنفرد على البحار مع الفاتح نابليون بان استولت على مدينة الكاب وتمكنت بعدئذ من امتلاك هذه المستعمرة امتلاكا دائما كما استولت على غيرها من الممتلكات مقابل مبلغ من المال قيمته ثلاثون مليون دولار ٠

ومع ان قناة السويس باجتذابها كثيراً من خيرات آسيا وأستراليا عن طريق البحر المتوسط أنزلت بمدينة الكاب ضربة أليمة ، ومع ان الخطوط الحديدية الجانبية في داخلية افريقيا الممتدة الى الشاطئ قد حولت ولا تزال تحول قسماً كبيراً من المشحونات عن هذه الطريق فان لمدينة الكاب مزايا أساسية دائمة ستزداد على كرّ الزمن بدلاً من ان تنقص ٠ ومع أنها ما عادت في مقدمة الموانئ العالمية باعتبارها باباً من ابواب العالم الا انها لا تزال تمتلك مدخلا جانبياً محترماً ٠ فان كثيراً من مشحونات استراليا يفضل شحنها عن طريق الكاب الطويلة حيث تستطيع المراكب ان تقطع المنطقة الحارة على زاوية قائمة في اقصر وقت، ولهذا تفضل هذه الطريق على طريق الاوقيانوس الهندي التي هي اقصر منها ولكنها حارة تلوحها الرياح الموسمية، وعلى حر البحر الاحمر القتال مجتنبة عشرات المراكب التي تملأ حوض البحر المتوسط الحار ٠

ومع ازدياد اهمية مقاطعات اميركا الجنوبية فان تجارتها مع النصف الجنوبي لافريقيا واستراليا وزيلنده الجديدة ستزداد وستجتاز مدينة الكاب جالبةً لها التجارة الوافرة ٠ ونظرة واحدة الى الخريطة ترينا أهمية

مركز مدينة الكاب الممتاز للتجارة ولا نبالغ اذا قلنا بان المراكب تترك هذا الباب الجنوبي التجاري الى كل ميناء في العالم .

على ان مستقبل مدينة الكاب يتوقف بالاكثر على مستقبل جنوبي افريقيا وهذ القسم من هذه القارة العظيمة هو اعظم الاقسام تقدماً ونمواً إذ مع ازدياد الهجرة من اوربا وتزاوج هذا الدم القوي مع عنصر البوير القوي الصبور الذكي والذي يعشق العيش في البراري منفرداً ، ومع ازدياد العنصر البريطاني التجاري النشيط الذي يتسلط في المدن ومع نشوء حكومة ديمقراطية قوية ووجود شبكة من السكك الحديدية المنظمة ، ثم مع وجود مناجم الذهب الغنية ومناجم الماس التي يقصر عن تقدير ثرائها الوصف ، ومع وجود السهول الواسعة التي تنتج كل ما تنتجه المنطقتان الحارة والمعتدلة ووجود نصف قارة غنية بالمراعي التي تكثر فيها المواشي ، نقول مع جميع هذه العوامل التي تقع على قاب قوسين او ادنى من مدينة الكاب ، تلك المدينة التي كانت سنة ١٩٢١ تعد ٢٠٧٦٠٠ فاصبحت سنة ١٩٢٨ تعد ٢٥٣٠٠٠ يتبين للقارئ ان لهذه المدينة مستقبلا تجارياً اعظم بكثير من ان يكون ذا أهمية محلية فقط .

ان مدينة الكاب مثل غيرها من اهم موانئ افريقيا الجنوبية ليس لها ميناء طبيعي جيد ولقد تحطمت على هذا الشاطئ في الايام الاولى عشرات من المراكب ، على انه بعد ان بنيت السدود لاتقاء صدمات الامواج اصبح للمدينة ميناء واسع محافظ عليه من الانواء من

جميع الجهات ذو عمق كاف وارصفة واسعة ومستودعات لخزن الخضر وآلات رافعة منها ما يحمل ما زنته ١٠٠،٠٠٠ رطل ومع انها ليست قريبة الى مناجم (الرند وكمبرلي) كميناء (ديربن) الا ان القسم الاعظم من الذهب والماس يصدر عن طريق مدينة الكاب كما ان القسم الاعظم من العنب والزبيب والخمور والاجاص والتفاح في جنوبي افريقيا يصدر عن هذا الميناء ايضاً وهي تشترك مع ميناء (بورت اليزابث) و (ايست لندن) في تصدير الصوف والجلود التي تنتج في منطقة الكارو الجافة. وتستعمل الآلة الرافعة لرفع الحنطة بالاكثر من الارصفة الى البواخر.

وليس في هذه المنطقة الجافة قوى مائية الا القليل ولهذا يجلب الفحم اليها بالقوارب من ميناء (ديربن) او ينقل بالسكة الحديدية ، وبما ان البلاد الداخلية لا تصلح بالاكثر الا للمراعي فليس لمدينة الكاب مزايا طبيعية مناسبة للصناعات الواسعة ، على ان حوالي نصف سكانها من الهنود والملايو ومن الشعوب المزيجة التي تقدم عمالاً لا بأس في كفايتهم باسعار رخيصة .

ومدينة الكاب باعتبارها ام مدن جنوب أفريقيا فيها معامل كثيرة وقد نشأت هذه المعامل من سنوات مضت لسد الحاجيات المحلية ونمت مع نمو السكان ، ومنتجات هذه المعامل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمنتجات البلاد الطبيعية واليك قائمة تعطيك اهم المنتجات مع عدد المعامل المخصصة لكل منها : —

الحجارة والخزف وما اشبه (٣٥٠) الخشب (٢١٨) المعادن (٩٧٥) المأكولات والمشروبات (١٨٤٨) الملبوسات والمنسوجات (٧١٢) الكتب (٣٦٠) عربات النقل (٩٦٥) الاثاث (٢١٢) الجلود (٢٣٠).

ان لمدينة الكاب جاذبية عظيمة تمتاز بها عن غيرها فلقد قال فيها السر فرنس دريك قبل اكثر من ٣٠٠ سنة وقد رأى بعين بصيرته تلك المزايا فكتب ما يأتي: (ان جبل تيبل هو غاية في السمو والعظمة وهو أبدع رأس رأيناه في جميع انحاء الكرة الارضية). ان منظر المدينة من البحر منظر عجيب، اذ يمتد الاوقيانوس الى اليمين امتداداً واسعاً بلون ازرق جميل وعلى اليسار تقع التلال العالية التي تظلم كلما بعدت المسافة، ويأتي أمام ذلك خليج أشبه بالهلال ازرق اللون جميل التركيب كثير الشبه بخليج نابولي بايطاليا ووراء ذلك يقع جبل تابل الاجرد منبسطاً من الاعلى مطلاً على المدينة بجلال وعظمة.

وفي المدينة شوارع مستقيمة وعريضة فتحها الهولنديون تبتدئ من الساحل صاعدة الى الجبل تحيط بها من الجانبين بيوت منبسطة السقوف بيضاء وصفراء، أما الارصفة في الميناء فهي ابداً تعج بالشاحنين. وتملأ الميناء بقوارب الصيد الصغيرة وتعج المدينة بالملايو الذين يرتدون البسة براقة في حين تغطي نساؤهن وجوههن على الطريقة الشرقية، ثم ترى التجار الهنود الاذكياء صغار البنية فاذا بك تمر بالبويري العنيد

الحزين فاذا انت أمام الانكليزي الافريقي المنشيط منتقلاً من شارع الى آخر . على انه ليست المدينة وحدها ببساتينها الجميلة وشوارعها الكبيرة التي تزينها اشجار البلوط والصنوبر ولا هذا الموقع الممتاز الذي يجذب السائحين من البلدان البعيدة المرة بعد الاخرى فان ما تراه من تنوع المشاهد في هذه المدينة يفوق اي مكان آخر ، فالراغب في تسلق الجبال يجد في جبل «تابل» ما يرغب من التسلق الشاق او السهل كما يريد ، وله في كل يوم من الشهر اختبار مختلف . أما العالم الطبيعي فانه يجد في السير في احراجها لذة دائمة التغير ، فقد يجد من بعد الامواج الصاخبة شلالاً جميلا ينساب بين تلك الاحراج او قد يصل به سيره الى بركة هادئة من المياه وسط تلك الاشجار الباسقة . بل قد يجد النباتي من مختلف انواع الازهار العطرة الغريبة الشكل في بضع اميال مربعة اكثر مما قد يجده في جميع انكلترا بعد تفتيش دقيق . والمعجب في عظائم الامور في امكانه ان يقف على رأس الرجاء الصالح فيرى كيف يتصل المحيط الاطلانطيكي بالمحيط الهندي . وفي الحقيقة اذا اعتبرنا الخصائص الطبيعية التي تمتاز بها مدينة الكاب فقد لا تجاريها مدينة أخرى في العالم في اجتذاب انتباه السائح او رغبته مدّة طويلة . وان لهذه المدينة التي تشبه المدرج العظيم الذي يحيط بهذا الخليج الازرق الجميل المزدان بالمناظر الجبلية التي لا مثيل لها في الجمال ، ثروة في الجمال الطبيعي يصعب ان يحصرها وصف .

ان السياحة اصبحت الآن من اعاظم موارد الرزق لبلدان كثيرة في العالم ، فان ازدياد ثروة الانسان وتحسن وسائل السفر السريع جعلت العالم يتضاءل في الحجم حتى ان السياح في المناطق المكتظة يمكنهم ان يجوبوا انحاء العالم ، وقد اصبحت مدينة الكاب بما فيها من الجاذبية الممغنطة في المناظر والمناخ والاحوال الاجتماعية والفكرية والتاريخية محط انظار الجنوب .

ان لهذه المدينة اهمية خاصة من الوجهة الاجتماعية والفكرية والتاريخية اذ هنا يجتمع برلمان الاتحاد الافريقي . ولقد بنت اقدم جامعة في جنوب افريقيا ابنيتها الجديدة الفخمة في اجمل بقعة كما تصورها « سيسل رودس » فغمرها بمساعدته القيمة .

وتمتد في افريقيا من الشمال الى الجنوب سلسلة مستمرة من الوحدات في الامبراطورية ومع ان هذه الوحدات هي منفصلة الآن وفي دور التكوين ، الا ان ما يؤمل انتاجه منها لا تضاهيه اية بقعة على وجه الارض .

وصفوة القول ان مقدرتها المتحدة على زراعة القطن توازي على الاقل ثلاثة اضعاف الولايات المتحدة ، أما في القهوة فهي تضاهي البرازيل بسهولة وفي الشاي تضاهي الهند وسيلان ، وفي المواشي والخراف الارجنتين واستراليا أما القمح والحنطة والذرة والارز والقنب وقصب السكر والفواكه على انواعها والذهب والنحاس والفحم والتنك وغيرها من مئات الحاصلات

النافعة فان لها قابلية لا حد لها . وقد بدأ الاتحاد يتكون الآن وخطت جنوب أفريقيا الخطوة الاولى وفي الامكان ان يتصور مملكة بريطانية عظيمة تتألف من ولايات أفريقيا المتحدة ممتدة من مدينة الكاب إلى الخرطوم تستطيع أن تنافس في مصادر ثروتها ولايات اميركا المتحدة .

ان مثل هذه المملكة سيكون لها منافذ جانبية عظيمة ، أما الباب الرئيسي فسيكون عند ملتقى جبل «التايبل» على رأس الرجاء التاريخي . ومن يدري ، فقد تصبح مدينة الكاب نيويورك ثانية لهذه الولايات المتحدة الجديدة (١)

مكتبة المدرسة

راى مفتش فيها

دارت هذه المحاورة بين احد المفتشين واحد معلمي القراءة على أثر درس قراءة . وكان المعلم قد هدأ روعه قليلا من أثر الزيارة ، وانصرف الطلاب الى الاستعداد على القراءة الصامتة في مقاعدهم . والى القارىء مجمل ما دار بينهما :

المفتش : هل يرغب طلابك في القراءة ؟ أي هل يقرأوون شيئاً

(١) عن مجلة المدرسه الكنديه

غير الكتب المقررة ؟

المعلم : بعضهم يرغب. اذ لا بد انكم لاحظتم الطالب جمالا في الصف الثالث والطالب سعيداً في الصف الرابع . ان هذين الطالبين يقرآن كثيراً .

المفتش : وماذا يقرآن ؟

المعلم : انهما يقرآن اية قصة يعثران عليها .

المفتش : هل حضّرت قائمة بالكتب التي قرأوها منذ افتتاح المدرسة في ايلول ؟ أحب ان أرى السجل الذي تدوّن فيه الكتب المستعارة من مكتبتكم ؟

المعلم : انهما لم يقرآ كثيراً من مكتبة المدرسة هذه السنة . اذ ليس عندنا كتب كثيرة يرغبون في قراءتها . ان الكتب التي يحبونها قد استعملت كثيراً واصبح اكثرها ممزقاً او مفقوداً .

المفتش : في اي وقت كتبت الى ادارة التفتيش تطلب كتباً للمكتبة ؟

المعلم : لم اقدم اية لائحة بل قلت لكاتب المعارف اننا بحاجة الى كتب جديدة ؟

المفتش : وهل تظن ان كاتب المعارف او لجنة المعارف يمكنها ان تقرّر الكتب التي تحتاج اليها مكتبتك ؟

المعلم : كلا ، بل افترض انهم لا يعرفون اي الكتب يشترون

المفتش : اذا حضرت قائمة من اسماء الكتب ، واسماء الناشرين مع اثمانها ، تناسب جميع الصفوف في مدرستك ، فهل تعتقد انه في امكانك ان تقنع لجنة المعارف ، او ادارة التفتيش بلزوم شرائها ؟

المعلم : أظن ان في مقدوري ذلك .

المفتش : هل راجعت قوانين وانظمة ادارة المعارف وما يتعلق منها بتأثيث المدارس ومساعداتها للمكتبات ؟

المعلم : أخشى انني لم اطّلعها جيداً .

المعلم : لقد وصلت اليكم نسخة عن المنشور رقم ٥٦ المتعلق بالاعانات الخاصة ، وفي امكانك ان تحصل على نسخة من قانون المعارف اذا راجعت ادارة التفتيش . ان معرفتك هذه للقوانين والانظمة تمكنك من تقديم ما تريده من الكتب والاثاث بطريقة فعّالة . ولكن كيف يمكنك ان تحصل على قائمة مناسبة من الكتب لترفعها الى لجنة المعارف او ادارة التفتيش ؟

المعلم : في امكاني ان انتخب من القائمة التي حضرتها ادارة المعارف ؟ اليس كذلك ؟

المفتش : هذا حسن ، لكن هذه القائمة قد حضّرت من سنوات مضت . اليس في إمكانك ان تزيد في هذه القائمة من مراجعتك قوائم المكتبات الشهيرة ، ثم عند اتمامها ترسلها الي للمصادقة عليها وانا مستعد ان اضيف اليها واقدّم ملاحظاتي .

ولكن ماذا يمكنك ان تعمل لتثير رغبة جميع طلابك وبخاصة الذين لم يظهروا حتى الآن اي اهتمام بقراءة الكتب ؟

المعلم : لقد ذكرت اسماء بعض كتب لاذة لبعض الطلاب ، فكانوا يتشوقون لقراءة غيرها من انفسهم ، انني أؤكد ان قسما من الكبار يرغبون في قراءة كتب مثل الف ليلة وليلة ، وروبنصن كروزو وغير ذلك .

المفتش : نعم هذه طريقة جيدة . لكن يجب عليك ان تعرف الكتب ، وان تعرف طلابك جيداً . وما قولك في كتب للصفوف الاولى ؟

المعلم : في الامكان الحصول على بعض الكتب الرخيصة ما دام طبعها جيداً ولو كان تجليدها ليس متيناً ؟

المفتش : تجد الشيء الكثير في قوائم المكتبات واسعارها رخيصة فيمكن تغييرها كلما تمزقت . ان تنظيم مكتبة المدرسة تنظيماً يصحبه النجاح يحتاج الى وقت ودرس ولكن لا ينجح اي عمل للمعلم ويفيد مثلما ينجح في جعل طلابه يكتسبون عادة قراءة الكتب الجيدة .

ولكن افرض ان الطلاب يجدون صعوبات في قراءتهم ، فقد يصادفون كلمات غريبة يصعب عليهم فهمها او لفظها . فهل لديك نسخ عديدة من قواميس جيدة يمكنهم الرجوع اليها .

المعلم : عندنا نسخة واحدة من قاموس « محيط المحيط » ولكن هذه النسخة قد تمزقت ، وفقد منها بعض الصفحات ·

المفتش: يجب ان يكون في المدرسة قاموسان او ثلاثة من القواميس الجيدة · وان يكون طبعها من الحرف الكبير · فادخل هذا في قائمة مشترياتك الاولى ، ولا تنتظر ان ترسل اليك هذه · وكل مدرسة يجب ان يكون فيها قاموس كما يجب ان يكون فيها أطلس وقاموس جغرافي· وعندما يمكن ذلك يجب ان يضاف اليه دائرة معارف متوسطة الثمن ، ويجب ان يعلّم الاولاد ويدرّبوا على استعمالها والرجوع اليها عند مطالعتهم· وعلى المعلم نفسه ان يكون المثال فيبتدئ هو باستعمالها والرجوع اليها ·

واني انصحك ان تراقب ترتيب مكتبتك · وان ترتب الكتب ترتيباً لطيفاً وان تكون في اماكنها المعدة لها · واياك ان تغطي الكتب بالورق · واذا كان هناك كتب ممزقة فاخرجها من المكتبة ولتكن المكتبة دائماً جذابة للنظر · ولا تسمح للطلاب الصغار ان يخرجوا الكتب بانفسهم ، او ان يرجعوا الى المصادر القيمة فيطووا الصفحات عند الصور التي تلذ لهم رؤيتها مما يضر بالكتاب كثيراً · ان على المعلم والطالب ان يحترما الكتب ويحبانها· ويجب ان تستعمل الكتب بسهولة وحرية ، وان تعالج بدقة وان تحفظ نظيفة ليتمكن العدد الاكبر

من الطلاب من قرائتها واستعمالها ·

المعلم : اشكرك على ملاحظاتك القيمة هذه · وأؤكد لك أنني أَرغب ان أُؤسس في المدرسة مكتبة مناسبة ، وان أَسعى لكي يرغب جميع الطلاب في الانتفاع والاستفادة منها ·

تربية الشخصية

فى المدارس

يقول نيوتن : نحن اولاد نلعب على ساحل البحر نلتقط من الزجاج والصدف ، بينما اوقيانوس الحق يظل مجهولا ومستوراً · وهذا ما ينطبق على المربّين الذين غمرتهم الفروض العديدة ، وقيدت اعمالهم البرامج الدقيقة ، فاثقلت كاهلهم ، ووجهت انظارهم عن واجب مقدس ، هو لباب التربية الحقة ، وفي قرارة الثقافة الصادقة ، ألا وهو تربية الشخصية · وحقًا ان مدارسنا اخذت تشعر بهذا النقص الذي يداهمها في هذه الفترة التي امتازت بزخارة المادة ، وتطور المنهاج · فالمعلم قد غمرته الواجبات والفروض ، وأخذ يتناسى عاملا مهما ، بل عنصراً فعالا في مادة التعليم ألا وهو تربية الشخصية ، والسعي وراء صقلها وتهذيبها ، لاعطائها مثل تلك القوة التي يطير فيها الطير ·

من الماس قطع كثيرة في هذا العالم ، لكن الاعين تصبو وراء

ماسة كوهنور (Kohinoor) لانها فريدة في حجمها ، جميلة في لونها ، بديعة في تألقها ·

ومن الصور ما يعد بالالوف والملايين ، وما يكفي لتزيين الشوارع والازقة ، لكن ارباب الفن يصبون وراء مونا ليزا (Mona Lisa) تلك الآية الفنية البديعة ، او الصورة الملائكية ، التي رسمتها يد ذلك الجبار العبقري ، واقرتها الايام في متحف اللوفر في باريس ·

ومن الحجارة عدد لا يحصى ، غير ان العالم الاثري اثناء تجواله في المغاور وبين الوديان ، لا ينجذب لتلك الاكوام الهائلة ، او تلك الصخور المتصدعة بل ينحني ليلتقط حجراً استعمله انسان الغابات في اثناء صيده الكواسر ، وذبحه تلك الحيوانات الاوابد ·

ومن الخيل اشكال والوان ، الا ان القوم يتهافتون على الجواد السبوق ويدفعون ثمناً باهظاً لاجله ، ويتغاضون عن جياد العالم المتنوعة ·

ومن البشر من يدرج في مهاد هذه الارض ويقضي عمره على هذه السيارة ، والتاريخ لم يسجل اسمه ، والايام لم تشعر بوجوده ، والبشر لا تتأثر منه ، فيجتاز مرحلة الحياة وهو ميت ، فتذهب ريحه وترجع بقاياه الى التراب ، مثواه النهائي ومآبه الاخير · ومن الناس من يظل ذكره حديث الاندية والشوارع ، وتسلية القوم في المقاهي والمطاعم ، فترى جرائد العالم تخصص انهارها لذكرى افعاله ، وترى مجلات الامم المتمدنة تعزز مقالاتها الافتتاحية لسرد اسطورة حياة ذلك الجبار ، الذي

غيّر دفة الكون باسره ، ومسك البشرية بيده العلوية ، وارتفع بها الى مصادر الحق والجمال ، وينابيع السعادة والرفاهية ·

ان كتلة بشرية من اللحم والعظم ، لا يربو وزنها عن قنبلة مدفع اعتيادي تخيف امة باسرها وتلقي الرعب في قلوب اساطين العالم ودهاة السياسة · ليست الكتلة اللحمية بكافية لان تجري هذا الانقلاب او تبدي هذا التأثير ، انما هي شعلة الشخصية الوهاجة التي هي نور وضاء نثره الاله في هذا الكون ليضيء به ظلمات الحياة ·

ان فرداً اخترع الكهرباء رفع اسم الولايات المتحدة باسرها، وآخر دبّج بعض الروايات أحيا بها ذكرى قريته المنعزلة ، فلهج بها القاصي والداني ، ولولاه لبقيت نسياً منسياً ، وانك لو أتيح لك ان تصغي الى اللورد شاتام لانتابك نوع من السحر ، وضرب من التأثير لا تعرف اين مصدره ، وانجذاب لا تعرف اين منبعه ·

ذلك هو الخلق المتين ، بل قل هي الشخصية الفذة التى نصبو اليها وندعو الى غرسها ، ونجاهر على انمائها مع علمنا ان الكمال المطلق شيء لن نبلغه ، ولن نتصوره ، ولن نستريح اليه ·

ان حبوب القمح التي وجدت مدفونة في اضرحة الفراعنة ، مدة اجيال عديدة ، عندما زرعت في تربة فرنسا الخصبة انجبت قمحاً جيداً ، فقد ظلت الوفاً من السنين ملقاة في زاوية منعزلة او ضريح مظلم دون حياة او مظهر الى الحياة ، الى ان تعرضت تلك الحبوب للنور والرطوبة

والتربة فنمت واينعت ، واعطت ثمراً صالحاً . ومثلها الزحافات التي ترقد في الشتاء لكنها عندما تلذعها الحرارة تنهض الى الحياة وتتجدد الى العمل، وشبيه بها خضراوات البرازيل التي تظل في نمو دائم ، وجمال مطرد مـا دامت الحرارة تحف بها ، والرطوبة تبلل جذورها.

ومـا ينطبق على بذور الحياة هذه التي مكثت مدة اجيال طوال ينطبق على الشخصية التي ربما تركد سنين طوالا او تدفع الى جوف الارض لتثمر مع التراب ان لم يتسن لها الظهور على مسرح هذه الحياة فتخسر البشرية خسارة كبيرة سببها اهمال مراكز العلم، ومعاقل الثقافة، ومؤسسات التربية عن تقديم العوامل الكافية، لتربية تلك الشخصية ومساعدتها على النمو وتنشيطها الى العمل في ميدان هذه الحيـاة . فبذور الفكر ستظل راكدة مستقرة الى ان تمسها حرارة النفوس، فتذيبهـا وتصهرها، وتسيل منها عصارات فكرية، وتيارات عقلية تغيّر مجرى التاريخ وتبقي أثراً في سجل الحضارة .

واذن فالشخصية ظاهرة هامة في تاريخ البشرية الاجتماعي وتربيتها من اقدس الواجبات ، لاننا بذلك نكون قد قمنا بواجبنـا وافدنا العـالم والبلاد اكثر مما نفيدها بواسطة حشو ادمغة الطلبة بارقام جوفاء، وحوادث بالية واساطير مشوهة لا تبقي اثراً في نفسية الطفل ولا مفعولا في ذهنية الطالب عندما يخرج الى ميدان العمل . وعندي ان المعلم الناجح هو الذي يغرس في طالبه حب ذلك الفرع الذي يدرسه ويفتح له ابوابه المغلقة

حتى عندما يتخرج الطالب يتابع درسه ، ويستمري جمال ما شرع في دراسته ، ويتذوق حلاوة ما هو منصب عليه . وقد يكون للعلوم الاجتماعية — والمباحث الادبية — والبحوث التاريخية الاثر الاكبر في تربية الشخصية ، لذلك وجب الاهتمام بهذه الفروع ، واعطائها مكانة مهمة في برنامج التعليم .

كان الاعتقاد القديم ان الشخصية ترافق الاغنياء والنبلاء ، وتقتصر على الملوك والامراء ، غير ان الاجيال الحاضرة أثبتت ان الشخصية لا تقتصر على فئة دون غيرها ، او تلازم طبقة دون الاخرى فكم من ابناء الفقر العصاميين سادوا وسيطروا ، ودكوا العروش ، وقادوا البشرية الى مراقي السعادة ، ورفعوها من حمأة الارض الوبيلة .

والشخصية كما يعرفها وليم جيمس مؤلفة من ثلاثة مظاهر — المظهر المادي الحسي ويعني به البنية والتركيب الاساسي للفرد — والمظهر الاجتماعي ويتناول تفكير الفرد وذهنيته ، عقلياً واجتماعياً — والمظهر الروحي — وهذه الشخصية الفذة التي تنمو في الفرد قد تكون بركة للبشرية لا تضاهيها أية بركة ، وقد تكون لعنة على المجتمع ، تستعمل قوتها وسطوتها لخراب الكون ، وتدمير العالم . لذلك اصبحت مهمة المربين صعبة ومن الخطورة بمكان ، لانه لو اهملت هذه الشخصية لاصبح الدمار حليفنا ، والفناء بشيرنا .

ويشترط عند تربية الشخصية ملاحظة الامور التالية :

١ = ان تكون الشخصية كاملة وغير موضعية ولسنا في حاجة الى شخصيات تنظر الى العالم نظرة مبتورة ، لا تتعدى البيئة التي تتحرك فيها ، فلا نرى في هذا الكون الواسع الزاخر ، إلا سطراً واحداً او نموذجاً واحداً .

٢ = علينا ان نلاحظ ان الشخصية التي تنطبع في الفرد ، وتتأصل وتتمشى في عروقه ربما طوحت به الى الحضيض كما ان في مقدورها ان ترفعه الى ذروة المجد والنبل — فهنا رجل قاوم الرأي العام امتهن وأُهين — في حين ان فرداً آخر قاوم الرأي العام امتدح وقدّس ، وتوافدت عليه الجماهير زرافات ووحداناً للانضواء تحت لوائه ، ولاقتباس مبادئه ، وربما التبرك من اذياله ، وقدسيته .

وشبيه بهذه الشخصية المتناقضة بيوض التمساح التي لا تكبر بيوض الطيور ، ولا تختلف عنها في شيء ، غير انه رغم هذا التشابه نرى ان البيوض الاولى تظهر تماسيح صغيرة ، لا يطول بها الامد حتى تصبح حيوانات كاسرة ، وزحافات مرعبة ، في حين ان البيوض الاخرى تخرج أطياراً مغردة وجميلة .

وقد يندر ان تظهر الجواهر جميلة وجذابة في حالتها الطبيعية الا اذا تعهدتها يد الصانع الماهر التي تظهر جمالها المستور تحت غلافها ، وألوانها البديعة المخبوءة تحت قشرتها . وكثيراً ما طرحت هذه الجواهر كالحصاة عند استخراجها من جوف الارض او من قعر الانهار ، لانها

في حالتها الخام ربما لا تمتاز عن الحجارة في شيء . وهكذا الشخصية او الجواهر البشرية ، ان لم تتلقفها ايدي المربين وتشذبها وتصقلها ، بقيت قوة متقمصة ابليس ومقتنصة الدعارة والرذيلة .

وقد تمنّى لويد جورج ان يكون للامة معامل للرجال ، كما ان لها معامل للاسلحة ، تصنع فيها الرجال وتصاغ الشخصيات ، كما تصنع باقي الادوات . جميل هذا التمني ، وجميل ان تتحقق الاحلام فيشترك البيت مع المدرسة في تكوين الشخصية ، فيكمل الاستاذ ما شرعت فيه الام. والثقافة اذا لم يصحبها عمل فلا فائدة منها ، فيجب على الذين استنارت عقولهم ان لا يستنكفوا من العمل ، لان العمل شريف مهما كان ، ويجب ايثاره على البطالة . وكل من تمنعه كبرياؤه من استخدام عمله لفائدة البشرية هو مبتور الشخصية ، ولا ينظر الناس اليه نظرة احترام بل يعتبرونه عضواً مأفوناً في جسم البشرية وعدواً لها .

الناصرة ابرهيم مطر

الحرف والصناعات

بقلم المستر ستيوارت مراقب الفنون والصناعات

(٤)

<u>الخاتمة</u> : ولا يسعني في الختام الا القول انه من واجب ادارة المعارف ان

تفسح المجال اكثر للقرويين فتجعل لهم الحياة في القرية جذابة وتمكن القرى الصغرى من القيام بنفقاتها بواسطة تلك الحرف والصناعات التي تناصر الزراعة وتتوقف عليها ، وبواسطة تلك الاعمال المبدعة التي تغني حياة القوم فتجعلهم اعضاءً مستقلين ومكتفين وراضين ونافعين في الهيئة الاجتماعية .

وهذا يرجع بنا الى مسئلة الزراعة ، كما يرجع بنا الى الجنينة التي تتوفر فيها ، رغم الحدود الطبيعية ، امكانيات انشاء الجمال لدى هواة الجنائن . فان أسهل شيء يهمله المرء هو الذي يتعلق بالفكر مع انه أشد الاشياء خطورة .

وهنا فقط نستطيع ان نميّز بين الصانع والفنان . فالصانع هو الرجل الذي يعمل فقط ، والفنان ، كالمصور مثلاً ، هو الرجل الذي يطبع صفة عقله على ما يعمله ، هو الذي يكسب الاشياء الاعتيادية في الحياة معنى وجمالاً . اما صاحب الحرفة ففي مقدوره ان يكون إما الصانع او الفنان . ذلك لان في كل ذي حرفة جرثومة الفن ، لانها توجد في تلك القوة المرشدة عينها ، قوة العقل التي تدير الاصابع ، على انها تحتاج الى تربية وتهذيب ، تحتاج الى التدريب على الحكم والذوق السليم ، ليس بدرس العمل الجميل في حرفته فحسب ، بل بدرس الجمال اينما وجد ، سواء أكان في الادب أم في الفن أم في الحياة . فانه اذا وسع دائرة عقله ورقاها رقى دائرة عمله الفنية . إذ لا شيء يبين حقيقة صاحب الحرفة

من جهة الفن مثل الاشياء التي يعملها بيديه .

واست أنوي التحدث عن تلكم الفنون التى ندعوها الجميلة ، على انه خوفاً من ان تظنوا أنني لم اعالج الفنون التى يكثر فيها الزخرف معالجة كافية اقول عنها هذا القول وهو : انه كلما كانت هذه الفنون من تقليد شرقي او أصل شرقي كانت المثل الاعلى ، اذ يكون فيها مجال واسع للتخيل ، وتكون قد عملت والمواد قليلة محدودة وأشبعت بالتناسق والاسلوب الفني .

وغير خفي ان تقليد الحقيقة في الفنون العظيمة امر ثانوي ، وان المعالجة الخيالية للحقائق الطبيعية هي التي تكسب العمل شخصية . وهذا جلي في كثير من الصور العظيمة . فان الصورة العجيبة التي عملها (باولو اوسلو) في متحف الصور البريطانية ، وإن كان معظمها مرسوماً وملوناً من قبل صاحبها الا انه فيها كل التأثير الزخرفي المأخوذ من نموذج في كتاب فارسي .

تأملوا في كثير من السجاد الفارسي الذي هو كنز غني من كنوز الرسم . فهو يحتوي على رسم الازهار ولكن هذه الازهار ليست كالتي توجد في اية جنينة . انها معدلة من جراء قلة المواد واسلوب النسج ومصنوعة على موجب الاصول الخاصة بصنع السجاد . فهي ليست صوراً للاشياء حقيقة ، بل هي نماذج تخيلية اخرجها الرسامون ضمن حدود صناعتهم .

وليس ثمة من مصور عظيم يرى الاشياء كما هي في الحقيقة . لانه اذا فعل ذلك لم يعد مصوراً . فالفن هو اسراف في التخيل الكامل وتغلغل في التصور الاعلى ، وهو انتصار لتصور الناس وتخيلهم . ان الادب العظيم نجد فيه لغة تتميز عن اللغة الاعتيادية . ذلك لان فيه موسيقى رنانة ، ووزناً حلواً ، وفخامة في تلحين التجويد ، ورقة في السجع والقافية ، وهي مجمّلة بالكلمات العجيبة والالفاظ الجزلة ومغناة بالعبارات الفصيحة العالية . ان الفن يتناول الحياة كقسم من مادته الخشنة فيجدّدها وينعشها ويفرغها في قوالب جديدة ، وهو لا يبالي البتة بالحقائق ، هو يخترع ويتخيل ويحلم . وهو يبقي بينه وبين الحقيقة حاجزاً حصيناً مؤلفاً من الاسلوب الجميل والعمل الزخرفي او الخيالي .

ان وسيلة الكاتب الكلمات ، ووسيلة المصور والمزخرف الدهان او الفسيفساء ، ووسيلة النحات قطع الحجارة . ولا يعلن الاستاذ نفسه الا بالعمل ضمن حدود وسيلته ، والشرط الخطير لكل فن هو الاسلوب .

ان ما يصدق على الادب يصدق ايضاً على تلك الفنون التي نسميها الجميلة . وان تاريخ هذه الفنون باجمعه في اوربا هو سجل للجهاد بين الاصول الشرقية (يدخل فيها عدم قبولها المحاكاة وكرهها لتمثيل أي شيء من الطبيعة تمثيلاً حقيقياً) وبين روحنا الاوربي المقلد . وكلما سادت الاصول الشرقية في الفنون الاوربية ، كما هو مشاهد في بزنطية وصقلية واسبانيا للاتصال الفعلي بين الشرق والغرب ، او كما هو في

باقي اوروبا، لتأثير الحملات الصليبية وجدت اعمال فنية جميلة فيها مجـال للخيال ، وفي هذه الاعمال تحولت الاشياء المنظورة في الحياة الى اصول فنية واخترعت الاشياء التي ليست في الحياة وافرغت في قالب ، وكان المرمى النهائي من كل ذلك ابهاج الحياة . على انه كلما رجعنا الى الحيـاة والى الطبيعة وغلونا في محاكاتها انحط عملنا وابتذل وجانبته اللذة .

واني أشير عليكم ان تدرسوا السجاجيد والكتب القديمة التي لديكم . ان تدرسوا تلك الاحلام البديعة لمصوري الفرس ، والجنائن الملونة حيث الاشجار المرسومة رسماً فائقاً تتفتح الى الابد امام الاجواء الذهبية وحيث البلابل ترفع رؤوسها وتتغنى باغاريدها الخالدة . انك لتجد في هذه الزخارف الشرقية ينبوعاً حقيقياً من الرسم الخيالي على قلة المواد . ادرسوا وعززوا هذه الاشياء التي هي اعظم تقاليد الشرق وابنوا لكم فناً جديداً خاصاً بكم . ان في مقدور اوروبا ان تريكم الطريق . على انها لا تقوى البتة ان تعلمكم ان تخلقوا ما هو فيكم او ما يجب ان يكون فيكم .

علاقة التاريخ والجغرافيا

في حوض البحر الابيض المتوسط

البحر الابيض المتوسط اكبر بحر تحيط به اليابسة من جميع جوانبه ويقع هذا البحر في المنطقة المعتدلة الشمالية وله منافذ عدة منها ما هو طبيعي

كمضيق جبل طارق الذي يصل مياهه بمياه المحيط الاطلسي و كالمضائق المتعددة التي تصل البحر الابيض بالبحر الاسود ومنها ما هو اصطناعي كقناة السويس التي تصل هذا البحر بالبحر الاحمر . وتنفصل منطقة حوض البحر الابيض المتوسط عن سهول اوربا بعدة سلاسل من الجبال اهمها : جبال البرانس وجبال الالب وجبال البلقان ، ويزيد في انحصار هذه المنطقة هضبتا الاناضول وايبريه وجبال الاطلس الافريقية، وهذه التضاريس لها تأثيرها في طرق المواصلات وانتشار المدنية والثقافة وفي طبيعة المناخ ومسير الرياح وسقوط الامطار وتوزيع السكان والغلات .

كل من قرأ تاريخ هذا الحوض الذي يعد وحدة جغرافية في بقاعه المختلفة الاوربية والآسيوية والافريقية عرف اهمية هذا الحوض من الوجهتين التاريخية والجغرافية . فقد كان في هذا الحوض اقدم المدنيات التي كانت تتعاقب في عصور التاريخ القديمة والمتوسطة والحديثة فقد كانت مراكز القوة السياسية والمدنية الراقية في بادئ الامر في الاجزاء الشرقية ثم بدأت تسير هذه القوى متعاقبة غرباً حسب العصور التاريخية المختلفة اي ان تاريخ الحضارة في عالم البحر الابيض المتوسط الشرقي بدأ تحت زعامة الشرق القديم وكانت الشعوب المقيمة في العالم الغربي منه أبعد من ان تشعر بتأثير العوامل الشرقية مهما كانت عليه تلك العوامل من الشدة والقوة الدافعتين الى مرابع الحضارة والعمران فبقي

الغرب من الوجهة العمرانية متخلفاً جداً عن الشرق ٠ فقد كانت مصر مركزاً ورمزاً للقوة والثقافة آلافاً من السنين قبل ظهور الديانة المسيحية ، وقد كانت اقدم بلدان الشرق عمراناً وانخمها آثاراً يدلنا على ذلك عدد السياح الذين يؤمونها كل سنة لمشاهدة تلك الآثار التي لا مثيل لها في العالم اجمع ٠ وكانت هناك مدنية أخرى خارج هذه المنطقة ، وهي مدنية ما بين النهرين ، وفي كلتي الحالتين وفي هاتين المنطقتين تجمعت الاقوام البشرية مبتعدة عن الصحاري والجبال لخصب أراضيهما ووفرة مياههما ٠ في مثل هذه الاراضي بزغت المدنية القديمة وتعلم سكان هذه المناطق الملاحة لقرب المياه من مساكنهم وصاروا ينتقلون من بقعة الى اخرى يحملون معهم شيئاً من محاصيلهم وينقلون قسطاً من مدنيتهم متبادلين فكراً ومادة مع الاقوام المجاورة ٠

وظهرت هناك مدنية اخرى ، قبل ظهور المسيح بالفي او ثلاثة آلاف من السنين في بحر ايجه او بحر اليونان خصوصاً في جزيرة كريت التي وصلت الى درجة من المدنية والثقافة والقوة لا يستهان بها ٠ فوسعت تجارتها شرقاً وغرباً وتاجرت مع المصريين والصقليين ، وقد هوجم هذا المركز الثقافي حوالي سنة ١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م٠ وانقض صرح هذه القوة التي كان لها أثرها في التاريخ ٠ (فنظرة واحدة الى خريطة البحر الابيض المتوسط) يقول المؤرخ برستد (ترينا ان بلاد ايجه عبارة عن بلاد اليونان ، التي هي شبه جزيرة ، والجزر المحيطة بها ولا سيما كريت

التي هي جزء اوربا البالغ اقصى امتداد ـ شرقا وغربا ـ في مياه الشرق التي كانت تمخر فيها سفن المصريين ذهابا وايابا منذ اقدم الازمنة وترينا هذه الخريطة ايضاً لماذا ظهرت الحضارة الاوربية اولاً في كريت بين البلدان الواقعة الى الشمال من البحر المتوسط. ومما تجب ملاحظته هنا ان بلاد ايجه تتاخم آسيا بشطرها الغربي أي آسيا الصغرى وبذلك تتقابل القارتان اوربا وآسيا بينهما مياه بحر ايجه، وهكذا كانت آسيا الصغرى وطرقها التجارية حلقة الاتصال بين بلاد ايجه والبلاد المعروفة بالهلال الخصيب. وقد تلاقت المدنيات الشرقية الاولى معاًفي بلاد ايجه بواسطتين اولاهما واقدمها السفن التي كانت تمخر عباب البحر الابيض المتوسط قادمة من مصر، وثانيتهما طرق البر في آسيا الصغرى التي كانت تصل بينهما وبين عالم الفرات).

ويمكننا ان نستدل من ذلك على ان نشوء المدنية الاوربية لم يكن في بر اليونان بل في جزر بحر ايجه وهذه حقيقة جغرافية يجب الالتفات اليها.

وفي هذه الاثناء كان الفينيقيون وهم من اصل سامي يتجرون مع اجزاء حوض البحر الابيض المتوسط عدا انهم قطعوا مضيق جبل طارق وذهبوا الى الشواطئ الشمالية والجنوبية من المحيط الاطلسي. وقد ذكر المؤرخ هيرودوتس ان الملاحة الفينيقيين طافوا حول افريقيا حوالي سنة ٦٠٠ ق.م. اوجد هؤلاء الفينيقيون مراكز تجارية في قبرص

وفي صقليا وسردينيا وفي جنوبي اسبانيا وكذلك قرطجنه في شمالي افريقيا وقد كانت نتيجة امتداد تجارتهم بداءة تكون عالم تجاري على سواحل البحر الابيض المتوسط ، ورغم ذلك لم يكن لديهم جيوش ولا كانت انظمتهم السياسية بشيء يعتد به . وقد كانوا اقل اهمية في الفنون والثقافة اذا قيسوا بمقياس المصريين او اليونانيين الذين سنتكلم عنهم الآن .

ظهرت هذه المدنية اليونانية في بداءة امرها في القسم الشرقي من شبه جزيرة اليونان وليس في الجزائر المتفرقة نفسها اذ ان هذه الجزائر كانت مستعمرات للقسم الداخلي وفيما بعد اصبح لليونان مستعمرات حول البحر الابيض المتوسط عدا مصر واواسط وشمالي صقليه ، غير ان الفينيقيين كانوا اسبقهم الى الاستعمار واشدّهم قوة من اليونان في معظم شمالي افريقيا وفي القسم الغربي من البحر الابيض المتوسط ، وقد كانت نهاية مستعمرات اليونان مسيليا (**Massilia**) اي مرسيليا الآن وذلك لمقاومة الاتروسكيين (Etruscans) لهم في ايطاليا وكذلك الفينيقيين ولم تستعمر اليونان شيئاً فيما وراء اعمدة هرقل (جبل طارق) .

وقد شكلت اليونان عدداً من المدن المستقلة (City-States) غير متحدة تحت سلطة واحدة رغم اتحاد البعض في بعض الاحايين عند الحاجة كالحرب مثلاً . وسنجد سبباً جغرافياً لهذا الانقسام وهذه المدن المستقلة ازدهرت ليس في شبه الجزيزة اليونانية فقط بل في خارجها امثال مليتس (**Miletus**) في آسيا الصغرى قبل سنة ١٠٠٠ ق.م. وسباريس

(Sybaris) في ايطاليا وسيرا كوزه (Syracuse) في صقليه في القرن الثامن .

ويتبع بعد ذلك روما ، فالتاريخ القديم في ايطاليا كما في غيرهـا يرينا انه كان هناك عدة اقسام ومقاطعات ولكن حوالي سنة ٢٨٠ ق.م. كانت روما العاصمة السياسية لجميع شبه جزيرة ايطاليا عدا السهل الشمالي وعدا مدن يونانية قليلة في الجنوب وذلك لصلاح مركزها للادارة اذ انها تقع بين الشمال والجنوب وعلى الطرق الموصلة بينهما . ثم بدأ العصر الطويل الذي في خلاله اتسعت روما تدريجياً وبسطت سلطانها وقوتها على اراضٍ خارج بلادها وذلك إما بطريق التجارة اوبوسائل الاخضاع . بدأت اولاً في صقلية سنة ٢٦٤ ق.م. ثم في غربي اليونان في ابيرس (Epirus) حوالي سنة ٢٠٠ ق.م. وفي قرطجنه الواقعة قرب تونس الحديثة على الشمال الشرقي من منطقة الاطلس الافريقية ولذا فقد كان موقعها الجغرافي ملائماً كل الملائمة للتجارة ، سواء أكانت التجارة في الشرق أم في الغرب . ولكن روما لم تنظر الى موقع قرطجنه التجاري ، ولكنها نظرت اليه من الوجهة السياسية فقد كانت قرطجنه منافسة لها في القوة في صقليه واسبانيا وشمالي افريقيا ، ولذا كان مصيرها الدمار على يد الرومان بعد حروب طويلة (الحروب البونية Punic Wars) سنة ١٤٦ ق.م. بعد ان كانت مليكة التجارة في الجزء الغربي من البحر الابيض المتوسط ، ورغم موقعها الممتاز الذي جعلها في حالة لا

يباريها فيها مبار ، ورغم عظم اتساع تجارتها في الشواطئ الاوربية والافريقية · ومن ذلك الحين بدأت روما في تأسيس امبراطوريتها وتوسيعها الى ما وراء حدود البحر الابيض المتوسط ·

ثم بدأت الامبراطورية الرومانية في التدهور والانحلال من نهاية القرن الرابع الميلادي وهاجمتها اقوام من شمالي اوربا ووراء جبال الالب في بادىء الامر · وهذه الحالة ، اذا فحصنا امبراطورية روما ، كانت سائدة قبل هذا التاريخ بمئة عام ، وقد كان الحكام في جهات متعددة مستقلا كل منهم عن الآخر · فسبب هذا التدهور قيام الامبراطورية البزنطية على ضفاف البوسفور وذلك عندما اصبح قسطنطين الكبير (Constantine the Great) الامبراطور الوحيد سنة ٣٢٣ واصبحت القسطنطينية عاصمته · وهكذا فقد تقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين شرقية وغربية يفصلها حد طبيعي وهو البحر الادرياتيكي · ولكن رغم طروء عوامل الانقسام فيها مرات عديدة في التاريخ ورغم انقسامها الى عدة اجزاء سياسية مستقلة فقد كانت ايطاليا المركز الثقافي في اوربا في القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر و كذلك في قرون متأخرة ايضاً ·

ثم أتى العرب وبزغ دين الاسلام الذي بشر به النبي « محمد صلعم » الذي عاش من سنة ٥٦٩ — ٦٣٢ · بدأ عصر فتوحهم واخضاعهم الاقوام · تغلبوا على سوريا ولم يستطيعوا الذهاب شمالا اكثر من الوصول الى جبال

طوروس . فتحوا مصر وساروا في مناطق جبال الاطلس الافريقية ومنها الى اسبانيا سنة ٧١٠ ، وبعد ان اكتسحوا معظم شبه جزيرة ايبريه ، قطعوا جبال البرانس واستولوا على قسم من فرنسا مدة غير طويلة من الزمن واستقروا فيما بعد في اسبانيا عدة قرون . وفي سنة ١٢٣٧ انحلت قواهم في هذه المنطقة عدا القسم الجنوبي منها ، وقد كان الواقف لهم بالمرصاد في شبه هذه الجزيرة الممالك المسيحية الاربع وهي : قاستيل ، اراغون ، البرتغال ، ونافار .

ولم يبق من الدول العربية الا دولة بني نصرا وبني الاحمر الغرناطية وبقيات هذه حتى سنة ١٤٩٢ حينما قضي على آخر دولة عربية في هذه البلاد التي ازدهرت في زمن العرب الى حد يفوق الوصف واصبحت جميع شبه جزيرة ايبريه عدا البرتغال مستقلة سياسياً في القرن السادس عشر ، وهكذا كانت اسبانيا اثناء هذا القرن مركزاً لاعظم قوة سياسية ليس في منطقة حوض البحر الابيض المتوسط فقط بل في اوربا .

وقد كانت البرتغال آنذاك أول من قاد حركة الاستكشاف والاخضاع والاستعمار من البحر الابيض المتوسط والبلاد الاوربية الى بلاد نائية قاطعة المحيطات ، وقد بدأت هذه الحركة حوالي سنه ١٤١٥ بالذهاب الى جزائر الكناري وآزور ومديرا ، ثم استكشف الشاطئ الغربي من افريقيا على شكل تدريجي . وفي سنة ١٤٩٧ الى ١٤٩٨ ابحر واسقود وغاما من لشبونه حول رأس الرجاء الصالح ووجد

طريقاً جديدة للهند وللشرق الاقصى . والذي ساعد البرتغال على القيام بهذه الاعمال الجليلة موقعها الجغرافي وصعوبة الاتساع في الاتجاه شرقاً لوجود مملكة الاسبان ولصعوبة المرور عن جبال البرانس ، وفي سنة ١٤٩٢–١٤٩٣ بدأ كولومبوس في التحري عن وجود طريق غربية الى الشرق الاقصى ، فوجد عوضاً عن ذلك الدنيا الجديدة . وبهذه الحركة التي بواسطتها انتقلت الجهود من البحار الصغيرة الى المحيطات والبحار البعيدة بدأ تاريخ الاستعمار فيما وراء البحار من ذلك الحين حتى عصرنا الحاضر .

مما تقدم نلاحظ تأثير التضاريس الطبيعية على تاريخ الاقوام التي تعاقبت في حوض البحر الابيض المتوسط . وهذه التضاريس تنقسم في وضعيتها الطبيعية الى وديان وسهول وتلال وجبال وجزر واشباه جزر واراضٍ داخلية وهذه الظواهر الطبيعية تساعدنا كثيراً على اسباب تقسيماتها السياسية . فهناك اسباب طبيعية جغرافية لتقسيم اليونان الى عدة مدن صغيرة مستقلة كاثينه واسبارطه وآرغوس وغيرها هي ترجع الى وديانها وخلجانها وتلالها . وكذلك ايطاليا فقد بدأت كمقاطعات صغيرة مستقلة والسبب في ذلك وضعية جبال الابنين وما يتفرع منها . اما اسباب ظهور المدن الايطالية وشهرتها كالبندقية وجنوا وبيزا في القرون الوسطى فراجع ايضاً الى مواقعهم البحرية ، فقد كانت البندقية مثلا في بداءة القرن الثالث عشر مركزاً لمغادرة الجيوش الصليبية الى الاراضي المقدسة قصد

الاستيلاء عليها ·

بسطت هذه المدينة سلطانها ووسعت ممتلكاتها على الشواطىء الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبقيت ميناء بحرية مهمة حتى استكشفت الطريق البحرية الجديدة عن طريق رأس الرجاء الصالح في القرن الخامس عشر ، فكانت هذه ضربة قاضية عليها مع ما أضيف اليها من تلون وانقلاب الاحوال السياسية · وانضمام بعض الشعوب الاوربية والسلطة البابوية والكابوس التركي ·

وما ينطبق على مدن ايطاليا ينطبق على غيرها · فسوريا مثلا كانت منذ اقدم العصور التاريخية جسراً بين المملكة المصرية وبين مراكز المدنية التي نشأت في بلاد ما بين النهرين ، كما انها قريبة من آسيا الصغرى وشبه جزيرة العرب · أتى عليها الحثيون والآشوريون والمصريون واليونانيون والرومان والعرب والصليبيون والاتراك والسلاجقة والافرنسيون والانكليز كما ان جبالها لعبت دوراً هاماً في تاريخها كما لعبت الصحاري في بلاد العرب او الانهار في العراق ومصر ، فقد كانت وسيلة للدفاع في بعض الاحايين كما حمت جبال طوروس بلاد الاناضول من غارات متعددة · وقد كانت آسيا الصغرى جسراً آخر سار عليه المغيرون اثناء اعصر التاريخ المختلفة · مر فيها الفرس يريدون محاربة اليونان في القرن السادس ق · م · وقد مر فيها الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد ذاهباً الى سوريا ومصر والعراق والعجم وشمالي

الهند . وكذلك مصر فان موقعها الجغرافي وتضاريسها الطبيعية مما جعل لها مكانة خاصة منذ القدم ، إذ ان تونس والجزائر ومراكش تكتنفها الصحاري الجدباء من الجنوب ، اما مصر فقد جعلتها الطبيعة المخرج الشمالي العظيم الشأن لتجارة افريقيا كلها . ففي جنوبها تقع بلاد السودان المترامية الاطراف الممتدة الى خط الاستواء الذي منه تمتد اصقاع افريقيا الوسطى الى ان تتصل ببقاع افريقيا الجنوبية ، وهكذا فالتاريخ يدلنا على ان تاريخ مصر السياسي تطور في حالات لا تشبه ما حصل في بلاد المغرب الاوسط والمغرب الاقصى وكل ذلك بسبب اختلاف جغرافية هذه البقاع المتباينة .

وهناك امثلة كثيرة تثبت علاقة تطور الحوادث التاريخية حسب الوضعية الجغرافية وترينا متانة هذه الصلات في جميع العصور التاريخية . فعندما استولت الاتراك على القسطنطينية عام ١٤٥٣ وقضت على الامبراطورية الرومانية الشرقية اعادت على شكل تدريجي ذكريات الامبراطورية الرومانية القديمة ، فملكت شمالي افريقيا وغربي آسيا وجزء كبير من جنوبي اوربا وكل من يجول في منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من اعمدة هرقل ماراً بالاجزاء الجنوبية من اسبانيا وفرنسا ثم ايطاليا فشبه جزيرة البلقان فتركية آسيا فسوريا فمصر فطرابلس الغرب فتونس فالجزائر فمراكش يرى آثار تلك الامم المتعددة التي تعاقبت على حكم هذه البلاد . فالآثار المصرية والكريثية واليونانية

والرومانية والتركية والصليبية تشير الينا بعظمة تلك الامم في المدنية وتأثرهم بطابع تضاريسهم الطبيعية من جبال وتلال وسهول ووديان وانهار ، وتأثير هذه التضاريس على توزيع السكان وحالاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية . وهكذا مثّل التاريخ دوراً في عصوره المختلفة على مسرحه (الجغرافيا) في منطقة حوض البحر الابيض المتوسط ويمكن تطبيق هذه الصلات المتينة بين التاريخ والجغرافيا ليس في حوض البحر الابيض المتوسط فقط بل في جميع اجزاء القسم المعمور من الكرة الارضية . (١)

وصفي عنبتاوي

المصادر : =

١) The Mediterranean by O.J.R. Howarth

٢) الجغرافية العمومية الجزء الرابع

٣) الجغرافية الاقليمية للمدارس الثانوية ، محمد عوض ابراهيم بك ومحمد فهيم بك

٤) العصور القديمة . تأليف الدكتور جايمس هنري برستد .

خواطر حول تعليم

اللغة العربية

في الصفوف الثانوية

لست أقصد ان اجعل من هذه الملاحظات وحدة منطقية متسلسلة لان غرضي ، كما يشير العنوان ، ان ادوّن بعض ملاحظات متفرقة ، لا التزم فيها جانب الاستقصاء والاحاطة ولا اتوصل بعد ذلك الى التعميم والاستنتاج بل اكتفي بذكر النقاط منفردة كما تخطر على بالي :

١) نسمع كثيراً عن الطريقة الجديدة في تعليم الصرف والنحو ونتكلم كثيراً عن عقم الاساليب القديمة ، ونفرح عندما يضع احدنا كتابا مدرسياً جديداً يسهل الصعب ويوضح المبهم ، ونتأفف كثيراً من كتبنا القديمة ذات الورق الاصفر والرائحة الغريبة . ولكننا لم نسمع بواحد جرّب ان يعرف هذه الطريقة الجديدة : ما الغرض منها ، وما الفرق بينها وبين القديمة ، وكيف السبيل الى هجر هذه والالتجاء الى تلك ؟ وهل في ذلك خير ؟ لم نسمع بذلك الشخص ، مع العلم بان بعضهم قد حام حول الموضوع ولكنه لم يرده .

والغريب ان يكون الامر كما وصفنا ، والاغرب ان يكون دعاة التجدد غير واقفين على دقائق البحث ، غير عارفين بطرقه ومزاياه ، إذ

من المضحك ان يلجأ الواحد منهم الى القديم الذي يدعو الى هدمه يستمد منه البرهان على منفعة الجديد الذي يدعو الى اقامته • وذلك يرجع الى عدم وضوح المطلب من جهة وعدم وضوح سبله من جهة اخرى ، مع انه يجب البحث في الامر وتقرير اصوله قبل الاقبال على هذا او الاعراض عن ذاك •

نعتقد ان الصرف والنحو واسطة لا غاية • ولكن هذا القول يحتاج الى بعض التعديل ، فالصرف والنحو غاية عندما يكون درسهما من باب العلم ، ويكون ذلك في الدور الذي يتلو دور تعلم قواعد اللغة بقصد فهمها لاحسان الكتابة • والصرف والنحو واسطة عندما لا نجد بداً من تعليمهما لاقتباس ملكة اللغة •

هل يمكننا ان نتعلم اللغة بلا قواعد ؟ سؤال جدير بعناية الاساتذة والباحثين عندنا • ونستطيع ان نقول ان واحداً منهم لم يكوّن له رأياً نهائياً في هذا الشأن • وهذا يعلل ما نراه من اضطراب في طرق التدريس وتباين في نتائج جهود المدرسين • فاين العلاج ؟ العلاج هو الاتفاق على المبادئ — مهما كانت — قبل الشروع في العمل • فمتى نتفق على هذه المبادئ ؟

٢) لا نزال نذكر بعض مواضيع الانشاء التي يكتبها طلاب المدارس الابتدائية والثانوية ثم العالية • ولا نزال نرى نوع هذه المواضيع في تلك الدرجات • وربما جاز لي بناء على ذلك ان أتكلم بلغة الكثيرين

عندما اقول انه لولا الدورة الثانوية الثانية ، ولولا التعليم العالي ، لبقي عدد كبير من « المتعلمين » لا يقدر على كتابة « نميقة » او التكلم بصورة مضبوطة لائقة . وربما لا اكون مغالياً ان قلت ان كثيرين يجتازون تلك الدورة ويمرون بطور الدرس في الجامعة وتبقى لغتهم « نبطية » فما علة هذا ؟

عندي جواب واحد لا أرى له من ثان . سبب ذلك ضعف في اساليب تعليم اللغة عموماً والانشاء خصوصاً . تعليم اللغة كما هو اليوم لا يسير على خطة معينة ، فهذا لا يعير القواعد جانب اهتمامه ، وذاك يعتمد عليها ، ويهمل غيرها . والناشئة بين هذا وذاك تتردد بين القديم والجديد . فلا هي من هذا ولا هي من ذاك فمن المسؤول عن هذه الفوضى ؟

يجب على كل ناشىء ان يعد نفسه جاهلاً إذا كان غير قادر على فهم لغته قراءة وكتابة وخطابة وتكلما . وأعني باللغة هنا اللغة المهذبة اي لغة الادب العربي من الجاهلية الى العصر الحاضر . فليس من شك الآن ان من اهم علامات الرجل المهذب (إتقان لغته) ولكن لم يتخرج كثيرون من مدارسنا الثانوية ولا يكون لهم المام كافٍ بلغتهم ؟ بل لماذا يجتاز كثيرون دور التعليم العالي في الجامعات فيعودون وقد صاروا يفكرون بلغات غير لغتهم ويستسهلون الكتابة بالفرنجية على الكتابة بالعربية .

ليست الجامعات مسؤولة عن هذا بالدرجة الاولى فالعربية ليست

لغتها، والمسؤولية تقع على عاتق المدارس الثانوية، فلمَ تعجز مدارسنا الثانوية عن تخريج طلاب اكثرهم يتقنون لغتهم، ولا تعجز عن ذلك المدارس الثانوية في البلاد الاخرى؟ هناك بعض الفروق وعندنا بعض الصعوبات ولكنها ليست كافية في نظري لتبرر هذه النتيجة.

ما السبيل الى الوصول الى نتيجة خير من هذه؟ عندي جواب واحد وهو (طريقة المعلم) ولكي تكون للمعلم طريقة لا يكفي ان تتكون له بمرور الزمن، بل يجب ان يغذوها بالمطالعة الكثيرة، فلكي يستطيع المعلم ان يفيد طلابه يجب ان يكون هو دارفاً اللغة معرفة كافية تتناول اهم ما في آدابها من ثروة، ولا يكفي في ذلك المعرفة السطحية المقتبسة من كتب المعاصرين المقتضبة، او المقدرة العادية التي تتناول كتابة الجمل الصحيحة.

يضمك مجلس مع جماعة من اكثر الشبان تهذيباً، فاذا دار الحديث حول موضوع ادبي ألفيت شيئاً كثيراً عن «شو» و «كيتس» و «غوته» وغيرهم. وقلما تجد شيئاً عن الجاحظ او المعرّي او محمد عبده في مثل ذلك. ثم يتعمق الرفاق في البحث فتجدهم يبحثون في الاساليب والافكار وأثر الآداب العالمية في التهذيب. فاذا كان لاديب عربي قديم او حديث ان يبعثه الله من قبره ليستمع في مجالس هؤلاء لهاله الامر. لانه يجد جهلاً تاماً في بعض الاحيان، ومعرفة سطحية ضئيلة في احيان اخرى، بكل ما يتعلق بآداب العرب.

من المسؤول عن هذا ؟ اساتذة الادب العربي في المدارس الثانوية هو جوابي الوحيد ، ولا أذكر الجامعات ، لان اللغة العربية ليست لغة الطلاب الا في الجامعة المصرية ، والى حد محدود في جامعة بيروت الاميركية .

يجيء الاستاذ الى الشاعر الفلاني فيقول لك انه « رقيق العبارة دقيقها » فماذا فهمت من ذلك ؟ قد تحفظه ، وقد يسعدك الحظ بتذكره — على غموضه واضطرابه — فتضعه على ورقة الامتحان ثم تخرج وقد نسيت كل ذلك ، فاضحى ذلك الشاعر او الكاتب خيالاً في ذهنك لا تذكر منه غير الاسم ، فاذا تركت المدرسة ولم تكن لك صلة بالآداب نسيت كل شيء .

لم لا يضع الاستاذ امام طلابه كتب الشاعر او الاديب ، وكلما اراد ذكر عبارة عامة مثل تلك أثبتها ومثلها للطلاب بان يقرأ لهم او ان يطلب منهم ان يقرأوا صفحات من الديوان او الرسائل او المقامات . كيف يجوز ان يترك الطلاب المدرسة الثانوية وهم لا يعرفون — معرفة حقيقية — كتب الادب العربي المهمة . فاذا ذكرت لهم كتاب الحيوان مثلا اكتفوا بقولهم « للجاحظ » فاذا حادثتهم في مادته واسلوبه ظهر عجزهم .

ان هذا النوع من المعرفة خير منه الجهل ، وذلك لانه لا يفيد ، فالانسان لا يستطيع استعماله وهو غير متمكن منه ، وان جوّز لنفسه

استعماله كان دليلا على قلة بضاعته وسقم تهذيبه . وهنا لا بد لي من الاعتراف بوجود صعوبات جمة ، الكتب المدرسية وغير المدرسية ليست متيسرة ، وان تيسرت كانت معالجتها صعبة على المبتدىء وغير ذلك . الا ان هذا لا يمنع الحصول على نتائج خير من النتائج الحاضرة .

قد يفهم البعض من كلامي هذا الدعوة الى الرجعية والانتقاص من قدر الادب المعاصر او مدرسي اللغة ، ولكن هذا ليس غرضي ، وكل ما أدعو اليه هو الرجوع الى تعلم اللغة العربية من منابعها الاصلية ، من أصولها ، من كتبها القيمة ، لا من سفاسف من يدعون « التجدد » وهم لا يعرفون التجدد . فالمعروف عند الجميع ان النهضة في اوربا كان مبعثها الرجوع الى القديم وفهمه ودرسه ونقده .

والخلاصة اني ادعو الى العودة الى تلك الكتب الصفراء مرة اخرى ، ففيها الخير كل الخير ، فليقبل عليها الاساتذة برغبة وصبر ولنقرأها باحثين لا مقلدين .

القدس عبد اللطيف الطيباوي

سيف بن ذي يزن

نوطة عن الحبش في اليمن

يعزو موءرخو العرب امر غزو الحبش اليمن لسبب ديني ، ويصرح موءرخو اليونان بان الروم استكفوهم امرها لحفظ مصالحهم فيها، فاستبهم على كليهما ما انجلى لهما منفردين وهاك تمحيص ذلك :

جدّ اليهود في نشر دينهم في جزيرة العرب ولا سيما جنوبيها فتهوّد كثير من الاقيال والاذواء (١) ومن اشهرهم ذو نواس . و كأنا بملوك حمير قد خشوا على انفسهم من ان يصبحوا ملحقين بالعالم الروماني إن دانوا بالنصرانية : فلطالما اعتاد هوءلاء ان يرقوا اسباب الاستعمار بسلم الدين وان يتخذوا من التبشير حرابًا دامية لتوسيع نطاق مستعمراتهم، فاسترسلوا الى اليهودية آمنين على استقلالهم غائلة اهلها اذ لم يكونوا ذوي حول وطول .

أجزأ ذو نواس بما حمّل فتحمس لليهودية لما رأى اخوانه في الدين يضطهدهم الرومان في سوريا ، وتلا تلوهم وشرع ينتقم لهم ممن في نجران من النصارى . و كان نصارى نجران يعاقبة كالحبشة ، وهذا

(١) ذو لقب يلقب به ملوك اليمن وهو يشبه البارونية او اللوردات في نظام الاقطاع .

تعليل تدخل الحبشة مراراً في شؤون اليمن ، لانها كانت تحسب نفسها نصيرة هذا المذهب من النصرانية ، فانتهز ذو نواس هذه السانحة لحفظ كيان مملكته من النفوذ الاجنبي ودأب في قطع دابر النصارى النجرانيين فاستصرخوا العالم المسيحي الروماني فانجدهم من الحبشة بجند عليه ارياط فاستباح حمى اليمن وقتل ملكها سنة ٥٢٩ م وظل ملكهم فيها ستاً وسبعين سنة .

لقد رضي الرومانيون عن ذلك اذ فيه توطيد مصالح جالياتهم التجارية في ذلك القطر على نفقة غيرهم ، وكلاءة سفنهم في غدوها ورواحها في البحر ، ووهي دعائم المنافسة الفارسية .

نسبه

هو سيف (او معدي كرب) أبو مرة بن ذي يزن عامر بن اسلم بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري ، من اشراف اليمن واذوائها . وابوه اول من عمل له سنان من حديد وكانت الاسنة من قبل من صياصي (١) البقر فنسبت اليه الرماح اليزنية . ولما احتلت الحبشة اليمن لحق بملك الحيرة ويرجح انه عمرو بن هند ، فكتب اليه كتابا لكسرى يخبره فيه بشرفه وقدره وبنزوعه الى حرب الحبشة في اليمن بمؤازرته . فاعتذر كسرى بان الدار نازحة وانه يكره ان يغرر بجنده في موامي الاثل والسدر . ثم

(١) قرون البقر والظباء

اكرمه فلم يزل عنده حتى هلك .

وأمه ريحانة بنت ذي جدن ، وكانت ذات جمال باهر وكمال فائق وقد انتزعها أبرهة من ذي يزن واستنكحها فولدت له غلاماً سماه مسروقاً .

ميلاده ومنشؤه

ولد بصنعاء حوالي سنة ٥٣٠ م . وعاش على مبلغ علمنا في القرن السادس الميلادي ، وكان عهد طفولته يتمخض عن حوادث جليلة : الحبشة تسوق الجيوش وتكتسح اليمن ، والاضطراب يخبط المملكة خبط عشواء ، فاثر ذلك في مخيلة الطفل الشريف فهب عندما بلغ اشدّه ليغسل العار عن وطنه بالسيف .

تربى مع ابن الملك مسروق كانما نجلتهما ابوة ولا ريب انه تعلم معه القراءة والكتابة . فشب يرى الاحابيش يدوخون بلاده بسنابك خيلهم ، ويستبيحون ذمار قومه ويقطعون السبيل . وكانت امه تخفي عليه أمر أبيه الى ان شتمه يوماً ابن لابرهة ولعن أباه ، فجاء امه وسألها عن أبيه (وهو لا يحسب الا ان ابرهة أبوه) وما زال بها حتى صدقته الخبر واقتصت عليه خبره ، فاخذ يتربص بهم دائرة السوء ويعد العدة من ذلك الحين ليرفع عن بلاده كلكل الاستعمار الحبشي ولو بالالتجاء الى دولة اخرى الين جانباً منها . وزاده ايماناً في نجاء اليمن من الاستعباد على يده ما كان يلقيه الكهان في روعه (ان هذا البلاء يوشك ان يفرج بيد رجل

من بيت ذي يزن) .

هل استنجد سيف بقيصر ؟

روى المؤرخون ان سيفاً لما صحت عزيمته على الكيد للاحابيش تربّص حتى مات ابرهة وابنه يكسوم من بعده وملك مسروق ثم قصد قيصر في انطاكية لانه انف ان يستنجد بكسرى لابطائه عن نصر ابيه فلم يجد عند قيصر ما يروم ووجده يحامي عن الحبشة لتوافقهما في الدين فولى وجهه شطر كسرى. ونحن نرى ان ذلك رأي مفند وان هو الا تطويل من القصاص ، لان سيفاً كان يدين باليهودية ، وقد اضطهد اجداده نصارى نجران حتى اضطروا قيصر ان يثأر بحراب الحبشة للنصرانية من اليهودية في اليمن. زد على ذلك ان علاقة عرب اليمن التجارية والسياسية مع ملوك الحيرة كانت واطدة ، فهل يصح في الافهام ان يرمي سيف نفسه وهو المعروف بحسن السياسة والتدبير في حجر قيصر ويترك كسرى الذي اكرم مثوى ابيه من قبل ، وكان له من صداقة ملوك الحيرة ما يدنيه منه .

اتصال سيف بكسرى

خرج سيف من اليمن الى المدائن في فارس ، والاسى يملأ فؤاده واحشاؤه تكاد تتميز من الغيظ لما حل ببلاده من الحبش الذين اشتدت وطأتهم على اليمن فعطلوا تجارتها ، وهدموا مناسكها ، وخربوا حصونها. ولا يبعد ان يكون نجيّه ونديمه في سفره المنصب مولاه نوال بن

عتيك ذا القوة والبطش الملقب بنازع الاكتاف .

وقد تضارب قول المؤرخين في الطريقة التي اتصل بها سيف بكسرى فاستجاشه على اعدائه . فمن قائل انه اعترضه يوماً في طريقه وصاح به : ايها الملك ان لي عندك ميراثاً . فدعا به كسرى واستنبأه عن امره فقال انا ابن الشيخ اليماني ذي يزن الذي وعدته بنصرك فمات ببابك فرق له كسرى . وذكر آخرون انه استمال ملك الحيرة اليه فقدمه الى بلاط كسرى انو شروان العادل ملك الساسانيين . ونسجوا على ذلك قصصاً واهية في اجتذاب قلب كسرى اليه كأن اخبره انه يمت اليه بقرابة الجبلّة وهي الجلدة البيضاء . وزاد غيرهم انه انهى الى النعمان بن المنذر مالقي قومه من الحبشة فقال اقم فان لي على كسرى إذناً في كل سنة وقد حان ذلك فادخل سيفاً معه على كسرى فبثه شكواه واعلمه انه جاءه لينصره فيكون في دينه .

نستطيع ان نقف امام هذه الروايات المتشعبة موقفاً معتدلاً فنقول انه اتصل بكسرى عن طريق ملك الحيرة لانه عربي يشعر بشعوره ويعرف احوال قومه وصحبه الى كسرى فترجم الترجمان حاله لكسرى . ولم يكن المجلس بالمزل فيتلو سيف على مسامع كسرى تافه القول .

اغاثة كسرى سيفا

عرف كسرى ان اليمن في مكان سحيق من المدائن وتصور

انها مفازة قليلة الخير فعزم ان يستشير مرازبته (١) واهل الرأي فوصل سيفاً ببدر من المال واستمهله ريثما ينظر في امره .

ويروى ان سيفاً لما خرج من المجلس نثر صلة كسرى على العبيد والخدم والاماء والصبيان ، فاعظمه الملك فدعاه اليه ليسأله عما فعل فقال يرغبه : (ما جبال ارضي التي جئت منها الا ذهب وفضة ، انما جئت اليك لتمنعني من الظلم وتدفع عني الذل) .

استغرق النظر في شأن سيف مدة كان كسرى فيها يقدم في انفاذ مطلبه رجلا ويؤخر اخرى — يقدم اذا لاح له بارق أمل انه سيمكن في اليمن دولة تناهض الحبشة ذات الصبغة الرومانية ، وانه سيملأ جانباً من خزائنه من خيرات اليمن ، ويحجم اذا نظر في العواقب فيما عسى ان تجره هذه الحملة على جنده وبلاده . فرسم له مرازبته حلاً ذكرته المصادر التاريخية وهو ان يرسل الشيخ المدرب الاسوار (٢) وهرز الديلمي على رأس جيش مؤلف من ثمانمئة سجين مجرم (وقيل بل عددهم عشرة آلاف) فان ظهروا فهم ابناؤه وان غلبوا على امرهم فهم اعداؤه .

اجمال آمال سيف وكسرى في الحملة

كان سيف يرى انه اذا ربحت صفقته توفق لاعادة الملك الحميري الذي ثلت عروشه المطامع الرومانية بايدي الحبشة فيعود لوطنه ازدهاؤه وشرفه وتسري في ارجائه الجامدة الحركة التجارية وتستعيد اسواقه

١) الشجعان المقدمون ٢) الجيد الرمي بالسهام

فعاليتها في التجارة العالمية وثروتها الجمة ، كما شاء ان يثأر لآل ذي يزن من اعدائهم وللشعب الحميري من القاسطين . اما كسرى فقد كان يعلم علم اليقين انه لن يجني نفعاً مادياً مباشراً من تلك المملكة النائية التي تحف بها الرمال فتحجبها عن كل الاقطار وفارس ايضاً وليس من طريق اليها الا البحر ، ولم يكن للفرس اسطول تجاري كالرومان يشق عباب البحر الى الفرض التجارية ، اللهم الا ما كان يمني النفس به من عرقلة المواصلات الرومانية البرية والبحرية ، والا ما كان ينتظر ان يرد لخزائنه من الضريبة السنوية النزرة المتقطعة من هذا القطر الملحق .

سير الحملة

جهز كسرى الجند وامدهم بسلاح ومال ويمم بهم وهرز قصد الابلة (غرب البصرة) ومنها ابحروا في البحر العربي في ثماني سفن فغرقت سفينتان وبقي منهم ستمئة رجل فارسوا الى ساحل عدن (وقيل بل الى ساحل حضرموت) وتعاهد سيف ووهرز ان يموتا جميعاً او يظفرا . ويقال ان وهرز اشار بحرق السفن ليستميت الرجال في القتال وقد لحق بشر كثير نقم على الاحابيش .

المعركة

نما خبر الجيش الى مسروق ملك اليمن فصمد اليهم بمئة الف من مقاتلة الحبشة وحمير و كهلان ومن سكن اليمن ، فلما تراءى الجمعان وتصافا حث وهرز وسيف رجالهما على الصدق والصبر وزهد مسروق في

جيش سيف وكان عليه تاجه . وكان سيف ثاقب الرأي اذ اشار على وهرز ان يكون هو واصحابه في المؤخرة يرمون الاعداء وان يخالطهم هو بجنوده ، وكان ذلك فجعلت امراء اليمن تثوب الى سيف ورمى الفرس ونزع وهرز في قوسه ، ولأياً رمى مسروقاً وهو على فيله فاجتمع قومه عليه ثم تفرقوا ايدي سبا فشد عليهم الرماة ومزقوهم كل ممزق واجهزوا على جريحهم فبلغت قتلى الحبشة قراب ثلاثين الفاً ، واقبل وهرز يريد صنعاء حتى اذا اتى بابها وجده صغيراً فقال : لا تنكس رايتي فهدموا الباب ودخل صنعاء ظافراً ونفى عنها الحبشة وبعث الى كسرى بالفتح والاموال وهدايا العنبر والعود والجلود الطيبة . فكتب اليه كسرى ان ملك عليها سيفاً واقدم .

الملك سيف

توج وهرز سيفاً ملكاً على اليمن بتاج ارسله اليه كسرى والبسه قفازات من فضة وفرق عماله في اقطارها واشترط عليه بامر كسرى

١) ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها .

٢) ان تدفع اليمن جزية معدودة كل سنة . ثم انصرف هو الى كسرى وخلف فيها جماعة من اصحابه وكان ذلك سنة ٦٠٣ م .

فلما خلا سيف باليمن عدا على الحبشة فقتل رجالها واطفالها ولم يبق منهم الا اهل ذلة وقلة فاتخذهم خولا وجمازين (١) بين يديه . حتى ضرب به

---

١) حاملوا الرماح بين يدي الملك .

المثل في ادراك ثأره فقالوا : مدركو الاوتار في الجاهلية ثلاثة : سيف ابن ذي يزن، وبيهس الفزاري ، وقصير صاحب جذيمة الازدي ، وكان يجلس على سطح غمدان يشرب ويتضمخ (١) بالعنبر والمسك وينشد :

خيمت في لجج البحار، فلم يكن — للناس غير ترجم الاخبار
قالوا ابن ذي يزن يسير اليكم — فحذار منه ، ولات حين حذار
والعام عام قفوله ، ولعله — نابت عليه نوائب الاقدار
حتى اذا امنوا المغار عليهم — وافيت بين كتيبة الاحرار (٢)
ما زلت اقتل فلّهم وشريدهم — حتى اقتضيت من العبيد بثاري

وفود العرب على الملك سيف

كان لهذا النصر المبين وقع حسن في بلاد العرب فتسابق الشعراء الى بابه ينشدونه غرر مدائحهم ، وسارع الوفود الى حضرته يهنئونه بالفوز والغلبة . ونكتفي هنا بايراد قصيدة امية بن أبي الصلت من الشعر لشهرتها وذكر وفود قريش عليه .

ذكروا ان سيفاً كان يجلس في اعلى قصر غمدان بصنعاء فيتعطر ويفرق شعره ويضع عليه بردين أخضرين ويتقلد سيفه ، وعلى يمينه ويساره الملوك وابناء المقاول ، ثم يأذن للخطباء والشعراء . فيمثل امية بن أبي الصلت الثقفي بين يديه ينشده :

١) يتلطخ ٢) الفرس

لا يطلب الثأر الا كابن ذي يزن — في البحر خيم [١] للاعداء احوالا [٢]
أتى هرقل وقد شالت نعامته [٣] — فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة — من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الاحرار يقدمهم — تخالهم فوق متن الارض اجبالا
من مثل كسرى وبهرام الجنود له — ومثل وهرز يوم الجيش اذ صالا
لله درهم من فتيـة صبروا — ما ان رأيت لهم في الناس امثالا
بيض مرازبة غلب [٤] اساورة — اسد تربب [٥] في الغابات اشبالا
ارسلت اسداً على سود الكلاب فقد — غادرت اوجههم في الارض افلالا [٦]
فالقط من المسك إذ شالت نعامتهم — وأسبل اليوم في برديك اسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً — في رأس غمدان دار منك محلالا [٧]
تلك المكارم لا قعبان [٨] من لبن — شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ثم يتقدم عبد المطلب بن هاشم عن قريش فيستأذن في القول ويقول : « ان الله تعالى احلك ايها الملك محلا رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً شامخاً ، وانبتك منبتاً طابت أرومته [٩] ، وعزت جرثومته [١٠] ، ونبل اصله ، وبسق [١١] فرعه ، في اكرم معدن ، واطيب موطن ، فانت ابيت اللعن رأس العرب ، وربيعها الذي به تخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد ، سلفك خير

---

(١) اقام (٢) سنين (٣) ذهب عزه (٤) الاسد الغليظ الرقبة (٥) تربى (٦) منهزمين مكسورين (٧) مخصبة (٨) القدح الضخم (٩ و١٠) الاصل (١١) علا

سلف ، وانت بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من انت خلفه ، ولن يخمل من انت سلفه ، نحن ايها الملك اهل حرم الله وذمته ، وسدنة بيته ، اشخصنا اليك ، الذي انهجك لكشف الكرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة .

فيقربهم الملك ويقول «مرحباً وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومستناخاً[١] سهلا وملكا ربحلا[٢] يعطى عطاء جزلاً ، فاهل الليل والنهار انتم ، ولكم القربى ما اقمتم ، والحباء[٣] اذا ظعنتم» .

قيل : فاقاموا عنده شهراً ، ثم خلا بعبد المطلب وانهى اليه انه يجد في الكتاب المكنون ان نبياً يكون من نسله ينيلهم الرئاسة وانه لولا الموت المجتاح لسار اليه بخيله ورجله لينصره ويقيه الآفات ويوطيء اقدام العرب عقبه . ثم اكرم كل رجل منهم وضاعف ذلك اضعافاً لعبد المطلب ورحلوا عنه فقال أمية بن عبد شمس :

جلبنا النصح تحمله المطـايا ... الى اكوار اجمال ونوق
مغلغلة[٤] مرافقها ثقـالا ... الى صنعاء من فج عميق
نوئم بها ابن ذي يزن ونهدي ... مخاليها الى امم الطريق
فلما وافقت صنعـاء صارت ... بدار الملك والحسب العريق

اواخر ايام سيف ومقتله

مكث سيف في الملك حيناً غير يسير وذكر المسعودي انه ملك

«١» مبرك «٢» عظيم «٣» العطاء «٤» تعبة

اربع سنين وهو الارجح . ولم يذكر المؤرخون شيئاً عما احدثه خلالها الا ما كان من اضطهاد الاحباش وتلكئه احياناً في دفع الجزية .

اما قتله فلا مرية في كونه أثر مؤامرة دبرها له اعداؤه في اليمن والحبشة لما رأوا من فظاعة انتقامه واشتداده عليهم في الاتاوة والحكم . يحكى انه ركب يوماً من باب قصر غمدان بمدينة صنعاء وبين يديه الحبشة الذين استخلصهم بحرابهم فتغافلوه فلما صار الى رحبتها طعنوه بحرابهم وذلك حوالي سنة ٦٠٧ م . وقام منهم رجل عاتٍ في اليمن فافسد فلما بلغ كسرى امرهم ارسل وهرز في آلاف من الفرس فدخل اليمن وسطا بالاحابيش والمولدين منهم حتى محقهم فامره كسرى عليها وما زالت تحت حكم الفرس حتى سنه ٦٣٤ م .

الخاتمة

لقد جعل القصاص من سيف بطلا عظيما لوقائعهم ، وجشموه من الاخطار في رواياتهم ما لا يصح في الافهام ، واول ما طبعت سيرته على هذا النمط سنة ١٨٩٢ م . في مصر . وقد قضى موته على آمال الحميريين فلم تقم لهم بعده قائمة . وقد ردد العرب ذكرى بطولته في اسفارهم بعد الاسلام فخلد اسمه في الادب على مر الجديدين فمن ذلك قول ابن دريد في مقصورته :

وسيف استعلت ١) به همته — حتى رمى أبعد شأو ٢) المرتمى ٣)

١» علت ٢» الغاية ٣» الغرض

فجرع[١]) الاحبوش سماً ناقعاً[٢]) واحتل من غمدان محراب[٣]) الدمى[٤])

وقول البحتري الشاعر اليماني في قصيدته «وصف إيوان كسرى» وقد جعله المبرر له في وصف الايوان ومدح الفرس :

ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب ولا الجنس جنسي
غير نعمى لاهلها عند اهلي غرسوا من ذكائها[٥]) خير غرس
ايدوا ملكنا وشدوا قواه بكماة تحت السَّنورَّ[٦]) حمس
واعانوا على كتائب اريا ط بطعن على النحور ودعس

هذا وقد كان سيف جميل المنظر ، عالي الهمة ، عظيم الهيبة ، قوي السلطان ، شديد البأس ، كريم الاخلاق ، جواداً ، حسن التدبير والسياسة ، أبياً . عاش في زمن احتدم فيه النزاع التجاري والاستعماري بين دولتي الارض الروم والفرس : فكانت اولاهما قد سامت وطنا خسفا على يد الحبشة ، فرضي ان يكون مطية لمطامع الاكاسرة الهينة كي يرفع عن وطنه نير القياصرة .

المراجع

(١) تاريخ الطبري

(٢) تاريخ المسعودي

---

(١) سقى (٢) ثابتاً (٣) غرفة بصنعاء فيها صور قديمة او المجلس في البيت (٤) الصور (٥) طيب رائحتها (٦) كل سلاح من حديد

«٣» تاريخ ابن خلدون

«٤» تاريخ ابن الاثير

«٥» تاريخ ابي الفداء

«٦» منتخبات في اخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري

«٧» الاغاني — الاصفهاني

«٨» صبح الاعشى — القلقشندي

«٩» العقد الفريد: ابن عبد ربه

«١٠» رغبة الآمل في شرح الكامل: المرصفي

«١١» ديوان البحتري

«١٢» شرح المقصورة الدريدية

«١٣» العرب قبل الاسلام: زيدان

«١٤» العرب واطوارهم : الاصمعي

«١٥» تاريخ اليهود في جزيرة العرب : ابو ذؤيب

«١٦» الاعلام : الزركلي

«١٧» فجر الاسلام جلد ١ : احمد امين

«١٨» Literary History of the Arabs Nicholson

«١٩» Historian's History of the World

المدرسة الرشيدية — صبحي غنيم

نشوء البرلمان في انكلترا

تمهيد

تمتاز الحياة الدستورية في انكلترا عن سائر البلاد في نموها البطيء الثابت المتسلسل المنتظم • وانكلترا هي اول بلد في اوربا اخذ يتسرب فيه نظام التمثيل الى النظام الاقطاعي وتشتد وطأته عليه شيئاً فشيئاً الى ان رجحت كفته وقضي عليه قضاء ليس بالمبرم • وما التمثيل الا تمثيل الطبقة العامة وما النظام الاقطاعي الا حكم النبلاء • ولئن اصبح التمثيل عاماً في انكلترا وتقلدت بواسطته الطبقة العامة زمام الامور فان طبقة النبلاء لم تدرس معالمها فهي حية الى يومنا هذا لها مكانتها في مجلس اللوردات الذي يأتيها حق الجلوس فيه عن طريق الوراثة • فمجلس اللوردات الذي اطلق عليه هذا الاسم في ايام هنري الثامن هو نفس المجلس الذي انشأه وليم الفاتح تقريباً ما عدا بعض التقلبات التي طرأت عليه • ومجلس العامة هو المجلس الذي تتمثل فيه ارقى خصائص التمثيل واحدثها. اوليس من الغريب ان يسير هذان المجلسان جنباً الى جنب وهما في تشكيلهما على طرفي نقيض ويجلبان لامة الانكليز النعمة والخير الاعظم؟ ان لموقع انكلترا الجغرافي ولحالتها الاجتماعية وللصدف الفضل في ايجاد هذه الخاصة التي عجزت سائر البلاد عن ان تأتي بمثلها •

مجلس الملك

ظهرت في القرن التاسع عشر طائفة من الذين اولعوا بحب إنكلترا الاعمى واصبحوا لا يرون شروق الشمس الا منها ويعزون كل عمل او تطور ظهر فيها الى اصل قديم فيها انكلوسكسوني لا يكون للاجنبي عليها فيه فضل ولا يمكن له ان يعتبر دخيلا . ولذا نرى المقالات والكتب التي صدرت على يد تلك الفئة مفعمة بتمجيد الانكلوسكسون والتسبيح بحمدهم . فقالت ان البرلمان المعروف اليوم في انكلترا يرجع في اصله الى المجلس الذي عرف عند الانكلوسكسون بمجلس الحكماء (Witan) فهو اذن نمو محلي نشأ وترعرع في الجزيرة نفسها .

اما العلماء الذين قاموا في ايامنا هذه فقد اجمعوا تقريباً على ان لا علاقة للبرلمان الانكليزي بمجلس الحكماء الانكلوسكسوني لان وليم الفاتح ادخل نظاماً جديداً في حكومة انكلترا المركزية ولو انه ادعى بانه الوريث لادورد المعترف . فلم يبغ ان يمثل في تلك الجزيرة الدور الذي لعبه الامراء والنبلاء الاقطاعيون في فرنسا من ضروب الاستقلال والخروج على سلطة الملك . بل اراد ان يجعل ملكه الجديد ملكا خاصاً به . فلم يعمل على الخروج عن نطاق النظام الاقطاعي بل بالعكس احتفظ به ، وجعله اقطاعيا موسسا على طاعة الملك .

فانشأ مجلسا تضاربت الآراء في تسميته فيما بعد . فمنهم من دعاه بالمجلس العام ومنهم من دعاه بالمجلس الكبير . وفيه كان يستدعي

اصحاب القطائع الرئيسية اي الذين يقطعون من قبله رأسا ، سواء أكانت قطائعهم صغيرة أم كبيرة . وليس بينهم احد من اصحاب الرواتب او الموظفين الذين لم يكن لهم قطائع . وكان جلهم تقريبا من النرمان القادمين من فرنسا ولا سيما بعد مصادرة املاك الانكلوسكسون على أثر ثوراتهم . ومن هنا يتضح جليا عدم الاتصال بين مجلس الحكماء ومجلس الملك النرماني الذي لم يكن ليختلف في شكله عن اي مجلس اقطاعي آخر ظهر في اوربا* فهو اذن مجلوب الى انكلترا من القارة حينما نزح النرمان اليها وهذا هو المجلس الذي يجب ان يشير اليه المعلم كالنواة التي نشأ عنها البرلمان فيما بعد .

وللملك غايات في جمع هذا المجلس الذي كان ينعقد ثلاث مرات في السنة (١) في عيد الفصح و(٢) في عيد العنصرة و(٣) في عيد الميلاد ، اذ كان يرغب في ان يظهر قوته وجبروته امام الشعب وامام الامراء الذين كان يرتاب في اخلاصهم ليحط من قدرهم بجانب عظمته التي لا يستطيعون على مضاهاتها . ومن اجل ذلك كان من امقت الامور على اولئك الامراء ان يحضروا مراسم الملك في هذه الاعياد . وبعد انقضاء هذه المراسم والمعايدات كان الملك يختلي برجاله المشار اليهم ليشاورهم في أمور دولته الهامة ولم يكن هذا المجلس ليحوز على مكانة عند الملك سوى تقديمه المشورة اليه . وعندما كان ينفرط عقده كان يبقى ملازما للملك نخبة من النبلاء

---

* الكلية العربية : عدد ٢ ، سنة ١٢ ، صحيفة ٥٧

الذين يعتمد هو عليهم لسعة اطلاعهم واختبارهم فيؤلفون مجلسا اصغر لا يختلف عن الكبير الا بالسعة . فكلاهما يدعى مجلس الملك اذ كان الدائم منه يندمج في الكبير بمجرد انعقاده فيصبح جزءاً منه .

اتحاد الملك والشعب لمقاومة استبداد الاشراف

وكان الملك قبل ان يسدل عليه النظام الاقطاعي ستاره ويغل يديه بقيوده الحديدية هو معدن التشريع ومنبع العدل ومصدر القوة . فعزم ملوك النرمان على ارجاع سلطة الملك المفقودة على غير ما اعتاده الناس في القرون التي بلغ النظام الاقطاعي فيها اقصى درجاته جعل الامراء الغير على مصالحهم ، الحريصين على ادارة شؤونهم بايديهم ، الناشدين عهد الفوضى وفقد الامن ، المتعطشين الى المشاحنة وسفك الدماء يثورون على سلطانه ويتضافرون على قتاله . ولما كان هؤلاء الامراء جلهم من الاجانب الذين افتتحوا البلاد بحد سيوفهم كانت مصالحهم متناقضة مع الشعب الذي هو بطبيعة الحال ميّال الى الهدوء والسكينة ، الى الامن والمسالمة . وهذه لعمري هي المثل العليا التي ينشدها الملك . فاتحد الاثنان على مقاومة الاشراف وكونا سوراً منيعا يعبث باعمال المفسدين وحصنا حصينا تتحطم في اسفله حملات جيوش الخارجين . وقد استمرت هذه المكافحة بين الطرفين مدة قرن كامل « ١٠٧٤ — ١١٧٤ » اي من عهد وليم الفاتح الى عهد هنري الثاني ، تنشب فيه آنا وتهدأ آخر لم يستحوذ الاشراف فيه على قيد شعرة مما كانوا ينشدون .

اتحاد الاشراف والشعب لمقاومة استبداد الملوك

ليس من ضرر في سلطة الملك المطلقة اذا كان صاحبها عاقلا حكيما مدبراً ذا خبرة ودراية . والضرر كل الضرر في يد كل غر متغطرس جاهل . انطوت الاعوام وكان اصحاب السلطة المطلقة من ملوك انكلترا من الطائفة الاولى فرتع الناس في هدوء وطمأنينة وبحبوحة عيش إلى ان قام يوحنا وخلفه هنري الثالث وحولوا تلك السلطة المطلقة الى استبداد ناء بكلكله على الامراء والكنيسة والشعب على السواء . عندئذ اتحدت الطبقات الثلاث على مقاومة الملك بعد ان اصبح الامراء المولودون في الجزيرة يشاطرون الشعب في شعوره القومي ، فتقاربت المشاعر والمشارب وتألف من تلك العناصر التى كانت متباينة شعب واحد . وما اسهل انتصارهم على الملك بعد ذلك الاتحاد يوم احاطوا به في رنميد «١٢١٥» إحاطة السوار بالمعصم واجبروه على منح البراءة العظمى التي عرفت في التاريخ باسم المكنا كارتا !

فهي لم تكن في حد ذاتها بالبراءة الاولى مما منحه ملوك انكلترا فقد منح البراءات قبلاً كل من وليم الفاتح ووليم روفس وهنري الاول وهنري الثاني . الا انها تمتاز عن غيرها بكونها نتاج اول حركة وطنية في انكلترا . مع انها لم تكن ضامنة لحقوق الشعب بل كانت مثبتة لنفوذ البارونات الاليغرقي . فاننا نراها تخول انتخاب ٢٥ منهم لتنفيذ موادها وتخولهم كذلك محاربة الملك عند الاقتضاء . ان ما احدثته هذه

البراءة قليل جداً · فهي عبارة عن ملخص التقدم الدستوري الذي جرى منذ سنة ١٠٦٦ وقد سردت فيه حقوق الكنيسة والبارونات وارقاء الارض التي كانت معروفة · اما من جهة العهد الجديد الذي افتتحته فانها اصبحت ملجأ لكل من ناهض استبداد الملوك · وهي لم تكن في نفسها تسوية نهائية بل بروغراماً للمستقبل تعتبر فيه كسابقة يشير اليها القانونيون عند ذكر قيود الملك · وكانت تتضمن ثلاثاً وستين مادة من اهمها :

١ — لا يجبى من الضرائب الاقطاعية الا الثلاث المتعارف عليها ·

٢ — لا توضع الضريبة الا بمصادقة المجلس الكبير ·

٣ — لا يحاكم الحر الا امام مماثليه او حسب قانون البلاد · ولا يباع الحق ولا العدل لاحد ولا ينكران على احد ولا يتأخران على احد ·

البرلمان

تشتق كلمة برلمان او (Parliament) من الكلمة اللاتينية (Parliamentum) وكانت تطلق في منتصف القرن الثالث عشر على انواع عديدة من المباحثات او المقابلات رسمية كانت او غير رسمية · وقد كانت مرادفة في هذا المعنى لكلمة اخرى (Colloqium) كان بدء استعمالها منذ اواخر القرن الثاني عشر · وكان من جملة ذلك انها اطلقت على المجلس الكبير ايضاً · واول ما عثر عليها مستعملة في هذا

المعنى في سنة ١٢٣٩ م ثم اصبح اصطلاحها خاصاً ملازماً لمجلس الدولة المركزي الذي يجتمع فيه ممثلو طبقات الامة الى يومنا هذا.

ويمتاز هذا المجلس عن المجلس الكبير بانضمام افراد من الطبقة العامة الى الثاني عن طريق التمثيل او النيابة. والطبقة العامة في انكلترا كانت تختلف عما كانت عليه في سائر القارة. لان الطبقة الوسطى تعد جزءاً منها ليس بالصغير. وقد كانت هذه الطبقة الوسطى ناشئة عن ثلاثة مصادر هي الاحرار ودرجات الاشراف الدنيا وابناء البارونات الاصاغر وقد حرموا ميراثهم في الملك واللقب. فهذه الطبقة الواسعة الكثيرة الدرجات في نفسها ايضاً كان احد طرفيها يقترب من النبلاء والطرف الآخر يكاد يتصل بالدرجات الدنيا من العامة.

من هذه الطبقة الواسعة اخذ الملوك يستدعون ممثلين الى البرلمان وقد كان يكثر فيها التجار والموظفون الصغار واهل الثقافة والاختبار حتى بالامور السياسية. كيف لا وقد كان افرادها يقومون بادارة المجالس المحلية والشؤون القضائية الاخرى* مع جباية الضرائب. فهي بكلمة موجزة العنصر الحي في البلاد، بينما هذه الطبقة كانت مفقودة تقريباً في القارة.

برلمان ١٢٦٥

لم يكن برلمان ١٢٦٥ بالحادث الاول الذي جرى فيه تمثيل في

---

* الكلية العربية: عدد ٢، سنة ١٢ صحيفة ٥٨

انكلترا، بل كان له سوابق كثيرة. فان الملوك منذ بدء القرن الثالث عشر أخذوا يستدعون ممثلين عن الاقاليم او المدن او القصبات كل فئه على حدتها لاخذ مشورتهم اذا كان هنالك ما يدعو الى ذلك. أما المدن على الاجمال فقد مر وصفها في العدد السابق في صحيفة ٥٠ ومن راجع ما يختص بها في ذلك المقال كوّن لنفسه صورة لها في مخيلته. ففيما يتعلق بالمدن استدعي في سنة ١٢٠٤ اثنا عشر ممثلاً عن كل من الموانئ الخمسه، وفي سنة ١٢٠٧ كل من له علاقة بسك النقود في المدن وقصبات معينة، وفي سنة ١٢٠٨ ممثلون عن كل موانئ انكلترا، وفي سنة ١٢١٣ وكذلك استدعي مختار واربعة رجال من بعض مدن الملك في جميع الاقاليم. وكذلك فيما يتعلق بالاقاليم استدعي في سنة ١٢٢٧ فرسان الاقاليم المنتخبون في مجالس الاقاليم وفي سنة ١٢٥٤ فارسان عن كل اقليم، وفي سنة ١٢٦١ ثلاثة فرسان عن كل اقليم، وفي سنة ١٢٦٤ اربعة فرسان عن كل من ٢٩ اقليما.

اما في سنة ١٢٦٥ على اثر انتصار الشعب والامراء تحت زعامة سيمون دي منفرت على هنري الثالث وقد استبد بالامور واعاد ايام سالفه يوحنا فقد عقد برلمان جمع فيه لاول مرة بمساعي الاول رجال الاكليروس الكبار والاشراف — وهذا ما يتألف منه المجلس الكبير — وفرسان الاقاليم بمعدل فارسين عن كل اقليم يجري انتخابهما تحت اشراف الوالي (Sheriff) مع ممثلين عن كل من القصبات وبعض المدن التي عينها سيمون دي منفرت وقد كانت موالية له. وهنا ظهر العنصر التمثيلي الآخر الذي سيتكون

مجلس العوام في المستقبل منه ومن فرسان الاقاليم . ومع ان جميع من استدعي لهذا البرلمان جلسوا في قاعة واحدة إلا ان هذا البرلمان لا يعتبر بالبرلمان الحقيقي اذ كان مجلساً برلمانياً فقط موءلفاً من مناصري الحكومة الحاضرة.

البرلمان النموذجي ١٢٩٥

بعد ان انقضى عهد سيمون دي منفرت وزالت سطوته لم تعد البرلمانات تعقد بانتظام وعلى نموذج ١٢٦٥ مدة ثلاثين سنة . وقد انهمك ادورد الاول في حروب طويلة منذ بدء عهده انفق عليها النفقات الباهظة حتى شعر في حاجة ماسة الى جمع المال — وقد كان اهم وظائف البرلمان المصادقة على منح المال للملك — وكان يميل الى توثيق الروابط بينه وبين رعيته . فعزم على عقد برلمان تام لا محاباة فيه بين المدن في التمثيل . فكان يحتوي من طبقة الاكليروس على الاساقفة ورؤساء الاديرة وممثلي الاكليروس الادنى ، ومن طبقة الاشراف على الأرلات (Earls) والبارونات ، ومن العامة على فارسين من كل اقليم وممثلين من كل مدينة او قصبة ، وقد سمي بالبرلمان النموذجي لاشتماله على الصورة التامة للشعب المتكون من الطبقات الثلاث اذ كان نموذجاً بذلك للشعب .

برلمان انكلترا ومجلس طبقات الامة في فرنسا

كان مجلس طبقات الامة في فرنسا يتألف من ثلاثة مجالس تجتمع كل طبقة في احدها ولا يوجد ادنى رابطة تربطها باختها . فكل طبقة تبحث في مجلسها وتصوت على ما يعرض عليها دون النظر الى موقف

الطبقتين الاخرين . أما في انكلترا فلم تكن لتجتمع الطبقات منفصلة عن بعضها تمام الانفصال . فلم يعترف الملك إلاَّ بمجلس واحد يجتمع فيه الشعب على اختلاف طبقاته . فكان الاشراف يتمثلون بالأرلات والبارونات في المجلس كما كان الاكليروس يتمثلون باساقفتهم ورؤساء اديرتهم . اما العامة فلم يكن لهم كراس معينة في المجلس . بل كانوا ينزوون اثناء المناقشة في غرفة قريبة من المجلس حتى اذا ما تم رأيهم على شيء ما انابوا عنهم رئيسهم وقدعوه بالمتكلم (Speaker) لانه ينوب عنهم في الكلام . وهذا هو لقب رئيس مجلس العوام الى يومنا هذا . فيغادر غرفة الاجتماع ويتوجه الى المجلس يتبعه نفر من رجاله فيقف هو واياهم في اسفل القاعة مقابل عرش الملك ويبين ما بت فيه جماعته . ويتناقش احيانا فيه مع ممثلي الطبقتين الاخرين . وكذلك كان يفعل الاكليروس تقريباً في انزوائهم عند المباحثة والمجادلة فيما بينهم . وهكذا يتبين لنا جلياً كيف ان البرلمان يتألف من مجلس واحد بصورته الرسمية هو المعترف به حتى اليوم . وهذا ما نشاهده ايضاً في وقتنا هذا عند وافتتاح كل برلمان اذ نرى الملك يلج مجلس اللوردات فقط حيث يقيم عرشه دائما وهناك يلقي خطاب العرش على مسمع من العامة وقد اكتظوا في الزوايا وعلى الابواب والشرفات .

استحالة البرلمان الى قاعتين

انه لمن الصعب ان نشير الى السنوات التي حدثت فيها هذه التطورات

الدستورية لقلة المواد المتعلقة بذلك . وكل ما يمكننا ان نقول في شأن ذلك هو ان البرلمان كان مشتملا على الطبقات الثلاث الواردة في مضمونات البرلمان النموذجي (١٢٩٥) ثم نسمع بغتة ان هذه الطبقات الثلاث تستحيل الى طبقتين ويغلب ان يكون ذلك حوالي ١٣٣٣ اذ يندمج اصحاب الرتب العالية من الاكليروس كالاساقفة ورؤساء الاديرة في النبلاء بصفتهم اقرب اليهم كاصحاب قطائع ويكف الصغار من الاكليروس عن الحضور لعدم اهتمامهم بالشوءون السياسية . ويحتفظ العامة بغرفتهم للمباحثات والمناقشات ، وكلما عظم شأن الطبقة العامة عظم امر قاعتهم حتى اصبحت هي المرجع الاكبر في الامور السياسية واستعيض عن مثول رئيسها (المتكلم) بين يدي مجلس اللوردات بتقديم اللوائح كتابياً سواء اصودق عليها أم لم يصادق .

فالبرلمان اذن هو عبارة عن المجلس الكبير المعروف في ايام ملوك النرمان والطائفة الممثلة عن الشعب . ومجلس اللوردات هو المجلس الكبير بعينه بعدما جرى عليه بعض التغير . ومجلس العوام هو الطائفة الممثلة عن الشعب التي الحقت بالمجلس عند تعاظم اهمية الطبقة العامة .

ضياء الدين الخطيب

فهرست

صفحة

١ — المدرسة الابتدائية

١٦ — مدينة الكتاب . درس في الجغرافيا

٢٤ — مكتبة المدرسة . رأي مفتش فيها

٢٩ — تربية الشخصية : للاستاذ ابرهيم مطر

٣٥ — الحرف والصناعات : بقلم المستر ستيوارت

٣٩ — علاقة التاريخ والجغرافيا في حوض البحر الابيض المتوسط
للاستاذ وصفي عنبتاوي

٥١ — خواطر حول تعليم اللغة العربية : للاستاذ عبد اللطيف الطيباوي

٥٧ — سيف بن ذي يزن : للاستاذ حسين غنيم

٧١ — نشوء البرلمان في انكلترا : للاستاذ ضياء الدين الخطيب